

ديوان المعزاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول

عالم الكتب

﴿ كلمة عن حياة المؤلف ﴾

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احتراماً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤالاته عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله في اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الفنائم بن حماد
المقرى إملاءً . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتغشاك مشيبٌ
فأنى ماليس يمضى ومضى ما لا يؤوبٌ
فتأهبٌ لسقامٍ ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهه بعيداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجم
فأين اتفانى بالاصالةِ والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يبصرُ حالتي فلا يلمنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال

أنشدنا أبو هلال المسكرى لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأنايمَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تدلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ عنى رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى المسكرى لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلُّ صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلَّى
لستُ أدرى أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلَى
لو تفرغَتْ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجومِ كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلال ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيتُه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد المسكرى .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائمه بلبسى)

(٣) لعل الغلط من الزاوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يبنى ابن شاعر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلمله اطلع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
المعدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أنني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب
فلو أني جُملتُ أميرَ جيشٍ
فانَّ الناسَ ينهزمونَ منه
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى
بردَ الماءِ والهواءُ كأنَّ قد
ريحه تُلمسُ الصدورَ فتشقى
لستُ أنسى منه دَمائَةَ دجن
وَجَنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشى
كَلما أرختَ السماءُ عُراها
وهي تعطيك حينَ هبتَ شمالاً
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج
وأنا نبي السرورُ من كلِّ نحرٍ
من حُرورٍ تشوى الوجوه وتكوى
سرقَ البردُ من جوانحِ خلو
وغماماتهُ تصوبُ فتزوى
ثمَّ من بعده نَضارةُ صحو
كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
بوميضٍ من البروقِ وخفي
جمعَ القطرُ بينَ سُفلٍ وعلو
بردَ ماءٍ فيها ورقةٌ جَوُّ
مثلَ ربطٍ لبستهُ فوقَ فرو

فاستعارَ العراءَ^(١) منها لباساً
 فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
 وليلَ أطلنَ مُدَّةَ درسي
 مرَّ لى بمضها ببقه وبمض^م
 وحديثِ كأنه عُقدُ رِيًّا
 في حديثِ الرَّجالِ رَوْضَةُ أنسِ
 ومن شعره في ارتفاعِ السفلى :

لا يفرنكمُ علوُّ لثيم
 فارتفاعُ الغريقِ فيه فضوح^م
 فملوُّ لا يُستحقُّ سفال^م
 وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكال^م

(١) في الأصل « العرار » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان
 المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي فبخر منه ما بين طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعامة الشاعر
 قال كت العنابي الي مالك بن طوف يستزيد ويستزيد به ويدعوه
 الي صلة الرحم والقراية بينه وبينه وكان ما كت ان ذراتك من
 قرب منك خير من وان ابن عمك من عم نفعه وان عسرك من
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اهدام بالمنفعة
 عليك وان اهدام الي مودتك من هدي اليك ولذا اقول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراية لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هذا اخر ما راينا نفيحه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواد بها وشذاها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فجع ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخمه أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرف القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فندعدد
 خاطرك مُحدّاجة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أقيتُ بعدى قوافي تُعجبُ التمثيلينا
 لذيدات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدبنا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدى شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 تحالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 أذً من السلوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأقلَّ قيمةً وأقصرَ في سماعِ الجليس وأطولاً
 ويُزهي به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياضة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بمبدأ الحميد وختمت بابن العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له الأستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهوري الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمسامي لم تزل
هي جوهرٌ ثرٌّ فان ألفتها
في كل معترك وكل مقامة
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
من أجل ذلك كانت العُرب الأثلى
وتند عندهم العلاء الأعلى التي
قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
وفند هذا محنت كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص (٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجر فقال
تعست العجلة فقالت فيه :

بمتهلك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غيائتك من تعيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب (٥) ممثلاً إذ بعثناه لحمل المشملة (٦)
غير فند أرسلوه قابساً فسوى حولا وسب العجلة

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
السرعة فقيل أسرع من حداجة (٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل (٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللواؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه
المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمرة فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَزٍ » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوَزٍ » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن قال ويحك أتلتحني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فالفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد نغر
قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن بيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاءة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسننها بنحري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازغة أقم علينا يوماً فلم أقم
 أي الوجوه اتجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن بيض بالباب يتسم
 قد كنت أسلمت فيك مقبلاً فهات أذحل أو قى سلمى
 فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدني

حيث يقول :

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم^١ من خلفه وورائه
 وميمده بصرى وإن كان امراً مستزحزحاً في أرضه وسمائه
 وأكون والى سره فأصونه حتى يحين على وقت أدائه
 وإذا الحوادث أجهفت بسوامه^(١) فُرت صحیحتنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لتترك مركبا صعباً قعدت له على سيائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداً ناضراً لم يلفني متمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء ، أنشدني أفنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسي فأجمل الطالب
 وأحلب النرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
 إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغباً
 والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
 مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضرباً
 ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
 والتاج ، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام : الأبل . (٢) السياء
 بالكسر : منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النيزي ، من معاصري جرير والفرزدق .

قَدِ مُرَزَقٌ الْخَافِقُ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِبَيْتِهِ رَحَلًا وَلَا قَبَا
 وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو الطَّيَةِ وَالسَّرْحَلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُخْتَرِبًا
 قَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْرَ ؟ قُلْتُ أَرِيضُ لِي بِمَرُ أَنْصَابِهَا وَأَمْتِدْهَا قَالَ
 أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرطَاسَ وَكَتَبَ
 وَلَا أَدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتْرَبَ ؟ قُلْتُ أَتْرَبُهُ ،
 قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتْرَبٌ ، قَالَ فَمِنْ الطِّينِ ؟ قُلْتُ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطِينٌ ،
 قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتْرَبُهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءِ ثُمَّ قَالَ
 لِحَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرَ إِنْ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبُ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
 لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ كَلَّا أَسَالِحُنْ هَشِيمٌ وَكَانَ لِحَانَةَ قَتِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِنُظْمِهِ
 وَقَدْ تَتَبِعَ الْفُقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِعْدَادِهِ مِنِّي .
 وَأَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرْنَا الصُّوْلِيَّ قَالَ أَخْبَرْنَا أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيَّ قَالَ
 حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
 فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو حَجَلٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
 قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّبْرُ بْنُ تَوْلَبِ الْعَمَلِيِّ ^(٢) :

وَفِيهِ كَالسِّيُوفِ أَحْصَرَهُمْ لَا حَصْرَ فِيهِمْ وَلَا بَجَلَ
 بِيضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
 لَا يَتَأَرَوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٌ أَنْ أَنْزِلُوا نَزَلُوا
 لَا يَمْتَرِي شَرِبْنَا الْجَبَاءَ وَقَدْ تُوْهَبُ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ

فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقِ الْأَيَاتِ وَوَهَبٌ ^(٥) أَبُو حَجَلٍ .

(١) فِي نَسْخَةٍ « أَفَلَا » . (٢) مِنْ شِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،

وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : احْتَبَسَ .

(٥) فِي نَسْخَةٍ « وَوَصَلَ » .

حاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذة ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسباب إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أو يرايه أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواهي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم لها صداء مطلقها طويل
وقيل : ان السيادة والرياسة والعلى أعباؤها كما علمت تقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأسود
وقلت : * إن الأمور مزيجها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْمَلَأِ إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعِبِ
ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بميد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ماتفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشق الراغب ويكفي الطالب فجمعته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراش : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً وثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقتصار على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتابة وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولها وكبر حجمها وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية وبكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالانسان لا يسلم منه
خَلَقَهُ وَخَلَقَهُ وَقَوْلُهُ وَفَعَلَهُ وَقَدْ شَمِلَ الْعَيْبُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى صَارَتْ فِي وَجْهِ الْقَمَرِ
سَفْعَةً ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تَخْبُرُ أمره معائبُ حتى البدرُ أكلفُ أسفَعُ
والشئ إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاى والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قائه العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل مملكٍ دونها يتدبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنيغته في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب الملقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بمد أن شيب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والمالك : الملك ، ويتدبذب : يضطرب .

بأنك شمس^١ والملك^(١) كواكب^٢ إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُستردٌّ ومَذْهَبٌ
مُدُوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
لكمك في قوم أراك اصطنعتهم^(٣) فلم ترهم في شُكر ذلك أذنبوا
يقول لا تمنى على شكري وقد أحسنوا إلي إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أني
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستتبي أخاً لآلته على شعث أي الرجال المهذب
فإن أك مظلوما فمبذ ظمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يعتب
يقول مثلك ينفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس^١ والملك كواكب^٢ إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
يقول ما صلحت لي أنت فاني لا أريد غيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذي في

ديوان النابغة المطبوع « كفضلك في قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بمض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكِ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلَ يَبْنِنَا قَمَرٌ
يَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبِيَّانَ يَوْمَ وِفَاتِهِ نَجْمٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع^(١) :

لَا تَعْدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّضُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِلٍ مِنَ الْأَجْلَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من نخول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

مقاله فسا لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا زوائد الحطم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لمذوبة مخرجه وسهولة مطابه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتدراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنرك وأصفح لقدرك هنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتدراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكران يبلغ لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عناتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،

وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد

أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رقد المستعين، وناحيتي من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليتهنك أبا البسام حدث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فاذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا للملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الآمد
ثم قال واللات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين^(٢) وذى فابش^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- آيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم لهم سعي ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيفاخرك - آيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللات لا أمسك أبهى من يومه ولقدالك .

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمين

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أذواء اليمين ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشى ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه وأمبلك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغفرك أبسط من شبره ولأملك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجدك جلت ما لها حصر في البأس والجود بين البدو والحضر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
قال فتهل وجه النعمان بالسرور وأمر فخشي فبه دراً ، وقال لئلهذا تراح القلوب
ويمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
للعباس انى لأعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بنو المصطفى هارون بين سريره فخير قيام حوله وقعود
يقلب الحاظ المهابة بينهم عيون ظباء في قلوب أسود
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأ وضرغاما *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رصده يصدّه ان نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زال يفتم مالا ثم يفرمه ما زال للمال غنما ما وغراما
أغر أربع يحكى الغيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجمله ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار

وأبى نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس

بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدر كته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :

فأنت كالدهر مَبْتَوًّا حَبَائِلُه والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أصرِفُه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفِعَلَه كالدهرِ لا غاد بما فعل الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :

خَسَعُوا الصَّوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كالموت يَأْتِي فِيهِ عَاد
فالقول همسٌ والنِّداءُ إشارة خوف اتِّقَامِكَ والحديثُ سراد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :

ومالامرى حاولته منك مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ الْمُطَالِمُ
يلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلامٌ ولا ضَوْءٌ من الصَّبْحِ لِامِيع
وقال البحترى ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح

الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل

ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو المعكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحترى - نسبة الى جد اسمه بحتر - قال المبرد :

أنشدنا شاعر دهره ونسيح وحده البحترى ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن
ولقد هم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما
يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول أبي الطمجان^(١) :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب
بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود
تسير المنايا حيث سارت كتابه
ومثله قول الخطيئة^(٢)

نمشى على قول أحساب أضأت لنا
كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدجلين اعتشوا^(٣) بها
صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلامحاء ولا قابلت به مداً

إلا كفاء . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر
وقلت : وانشق ثوب الظلام عن قمر
كقوس الجبين يشق الدجى
يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فمظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضأت لنا
ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدجى : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كأما النجم حين قابله
وقلت: لبليلٍ كما ترْفُو الغزاةُ أسودِ
قبايع منها مُذهبٌ ومفضضٌ
كواكبُه زهرٌ وصفرٌ كأنها
قبيلة (١) في نصابِ مرآة
على أنه من نورٍ وجهك أبيضُ
ولكنها عن وجهه تتفرجُ
وفيه ظلامٌ بالصباح مُتوجُ
وقلت: وذى غنَجٍ يأوى إلى فرعه الدُّجى
ففيه ظلامٌ بالصباح مُقنعٌ

وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط:

فتى لأبيالي المدلجون بنوره
له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينهُ
وإلى ما به ألا تضيء الكواكبُ
وليس له عن طالب العرف حاجبُ
وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنانٍ
وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسين يافعا
كان الثريا عُلقت في جبينه
له سماء لا تشق على البصر
وفي أنفه الشعرى وفي وجهه القمر
ولما رأى المجد استعمرت ثيابه
إذا قيلت العوراءُ غض كأنه
ذليلٌ بلا ذليلٍ ولو شاء لاتصر
وقول الآخر (٢):

إخترتُ فناءَ بني عمرو فانهمُ
إن يسألوا الخير يُعطوه وإن جهدوا
أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
فالجهد يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
هينون لينون أيسارٌ ذوو يسرٍ
أربابُ مكرمةِ أبناءِ إيسارٍ
مثلَ النجوم التي يُهدى بها السارى
من تلقى منهم تقلُّ لاقيتُ سيدهمُ

(١) قبيلة السيف كسفيئة: ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتي.

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشيدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مَدَحَتْكَ بالحقِ الذي أنتَ أهله ومن مِدَحِ الأَقوامِ حقٌّ وباطلُ
يعيشُ النَّدى مادمتَ حيًّا فإن تَمَّت فليس لحيٍّ بعد موتك طائلُ
وما لأمريءٍ عندي مُحْيِلَةٌ نعمة سِوَاكَ وقد جادَتْ عليَّ مخايلُ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادي الشمس ألفت قناعها أو القمر الساري لأتقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطَحِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنىَّ والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يتلج
لا تردَّ أوساخَ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنمَرَج
وهذا من أعلى الغلو لان السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهزم ولا يهزم والهزم من الجراء وتترك الهزم من الجرى ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُيَسِّنُ أبا اسحقَ طالَتْ يَدُ العِلاءِ وقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ واشتدَّ كَاهِلُهُ

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبالغ في مدحه .

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتهُ فُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهُ
تعودُ بسطَ الكفِّ حتى لو انه أرادَ انقباضاً لم تطعهُ أنا مله
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتنق الله سائله
وقلت في قريب منه :

وكيفَ بيتُ الجارُ منك على صدى وكفُّكَ بحرٌ لجَّةُ البحرِ ساحلهُ
أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطثون المعنى ان
أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
لك اماما ثم أنشدني :

إذا سألتَ الورى عن كل مكرمةٍ لم تلفِ نِسبتِها إلا الى الهَوَلِ
فَتِي جَواداً أعادَ النيل نائله فالنَّيْلُ يشكرُ منه كثرةَ النيلِ
وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموتُ يرهبُ أن يلقى مَنينتهُ في شِدَّةِ عندلفِ الخليلِ بالخيلِ
لوعارض الشمسِ التي الشمسُ مُظلمةُ أوزاحم الغيمِ أجاها الى الميلِ
أو بارز الليلِ غطته قوادِمه دونَ القوافي كمثل الليلِ بالليلِ
أمضسي من النَّجمِ ان نابتُه نائِبةُ وعندَ أعدائه أجرى من السيلِ

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلَّمَ الفَيْثَ الندى حتى إذا ما حكاها عَلَّمَ البأسَ الأسدُ
فلهُ الفَيْثُ مُقرٌّ بالندى وله اللبثُ مُقرٌّ بالجسدِ

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
بنى أنف الناقة - عن ابن مائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبحر وبالبحر وأجاج وبالجبيل

والجبيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :

نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقتراءٌ

أجلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء

وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء

وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله

ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء

كريم لا يفيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساء

وأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء

ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأس يقدم كل هادي

وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محل البيض واليلب ^(٤)

حلوا محلها من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يسلم في شعره » عاش

الى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيمى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،

يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القمام والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب

فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب

موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فهدس

عليه ماءً كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمَثَّلُ بينَ الرأسِ والذَّنْبِ
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنفُ والأذنانُ غيرُهُمُ ومن يُسَوِّي بَأَنفِ الناقَةِ الذَّنْبَا
وقال غيره : الناسُ أرضٌ بكلِ أرضٍ وأنتَ من فوقهم سماءُ
وقلت : أبشرفانك رأسٌ والعلاجسدُ والمجدُ وجهٌ وأنتَ السمعُ والبصرُ
لولاك لم يكُ للأيامِ منقبةٌ تسمو إليها ولا للدهرِ مُفتخرُ

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمرير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبيهتني باللصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قات
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهاث فقال الأخطل وما قالت يأمرير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كنفُ امرئٍ متناولٍ بها المجدَ إلا حيثُ مانلتَ أطولُ
ولا تبلغُ المهدونَ في القولِ مدحةً ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون

قولها قال هات فأنشد :

إذا متَّ مات العرفُ وانقطعَ الندى من الناسِ إلا في قليلٍ مُصردٍ (١)
ورُدَّتْ أكفُ السائلينَ ولمسكوا من الدينِ والدنيا بخلافٍ مُجددٍ

وليس بحسن عندي أن يقال للسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا متَّ لم توصلْ بِمرفٍ قرابةً ولم يبقَ في الدنيا رجاءٌ لنايلُ
وهو من قول النابغة :

فان يهلكُ أبو قابوسَ يهلكُ ربيعُ الناسِ والشهرُ الحرامُ

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجِبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
 وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدوح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
 وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لولا أبو دلف لم تحيي عارفةً ولم ينؤثروا مأمول بآمال
 يا ابن الأكارم من عدنان قد علموا وتالدُ المجد بين العم والخال
 وناقلُ الناس من عدم إلى جدة وصارفُ الدهر من حال إلى حال
 أنت الذي تُنزلُ الأيامَ منزِلها وتُمسكُ الأرضَ عن خسف وزلزال
 وما مددتَ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ وإلا قضيتَ بآجال وآمال (٢)
 تزور سخطاً فتمسى البيضُ راضيةً وتستهلُّ فتبكي أوَّجهُ المِمال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
 الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
 يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
 خليفةُ الله إنَّ الجودَ أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ (٣)
 إنَّ أخلفَ القطرُ لمُخلفٌ مخايله أو ضاقَ أمرٌ ذكرناه فيتسع
 فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها تشمسُ الضحى وأبو إسحق والقمر
 تحكي أفاعيله في كلِّ نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

قال فأجازه وفضل ابن وهب . ولبعض الشعراء في المهلب :
 أمسى العراقُ سليلاً لأنيسَ له إلا المهلبُ بعدَ الله والمطرُ

-
- (١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف
 البجلي ، كان أعمى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .
 (٢) في شذرات الذهب « لإقضيت بأرزاق وآجال » .
 (٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يجودُ ويحيمي عن ذمهم ، وذا تعيشُ به الأنعامُ والشجرُ

ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لم تزلْ للورى ثلاثُ شُموسٍ وجُهِكَ المستضىءُ والقمرانِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير ^(١) :

تراهُ إذا ماجئته مُتهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل الممدوح فرحا بعرض يناله وليس هذا شأن

الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

ولئن فرحت بما يُبذلُك إنه لبا يُبذلُك من نداءهُ أفرحُ

ما زال يُعطي ناطقاً أو ساكناً حتى ظننتُ أبا عقيل يمزحُ

فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أسائلُ نصرٍ لا تسلهُ فانهُ أحنُّ إلى الارفادِ منك إلى الرِّفدِ

وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو

ذلك أن الحجاج قال لآياس بن معاوية أي الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني

قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمح الطائي في خلاف ما قال زهير :

فتي لا يرى سوقَ المهورِ غرابةً ولا غالياتِ المالِ حلياً على نحرِ

فتي كان مكراماً لنفسٍ كريمةٍ مُهيناً لدنيا غيرِ مأمونةِ القدرِ

وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبدع في ذلك

البحثري في قوله :

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً قوجهك دونَ الردِّ يكفي المسلما

ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن

الأعرابي : كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً

وأخته سلمى شاعرة وإبناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

والبرقُ منِ بشرِهِ ومنِ ضَحِكِهِ

فقلتُ له انِ يَدْحَ اللومِ في البحرِ
ومنِ ذالذي يثني للسحابِ عن القطرِ
عليهِ مصايحُ الطلافةِ والبشرِ
مواقِعِ ماءِ المرزِ في البلدِ القفرِ

فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأنَّ أيامهم من أنسها جمعُ
تجددِ البشرِ في وجه الزمانِ
وفي فمه ضحك وفي وجهه بشرِ
فانك ممدوحٌ بك النظمُ والنثرُ

عنه علوٌ لم ينله الفرقدُ
وندى أحاط بجانيه السؤددُ (١)
لذوى التوسمِ فهي (٢) شيب أسود
جمع العلاءِ فيما يفيد وينفد
غناه مالك طيءٍ أو معبد

كأئما القطرُ من ندى يديه
وقول أبي الأسد :

ولأئمة لا منك يا فيض في الندى
أرادت لتثني القبض عن عادة الندى
إذا ما أتاه السائلون توقفت
له في بني الحاجات أيدٍ كأئها
وقريب منه قول أبي تمام :

عمدي بهم تستنير الأرض إن زلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
وقلت : إذا عبس الزمان فدل إليه
وقلت : كأنك في خد الزمان تورد
فن بك ممدوحاً بنظم يصوغه
وقال البحري :

وتواضع لولا التكرم حاقه
وفتوة جمع التقي أطرافها
وشبيبة فيها النهى فاذا بدت
طلقُ اليدين إذا تفرق ماله (٣)
جدلان (٤) يطرب للسؤال كأنما
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بجاء السؤدد » .

وهو تحريف (٢) في الأصل « التيسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في

الديوان المطبوع « خصل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان

المطبوع « نشوان » مكان « جدلان » .

أغرَّ أبليج يكسو نفسه حلاً
من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد
ومن تواضعه للحق في صلب
كانه وهو مسئولٌ ومندحٌ
غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
يهترُّ عظمه عند الحمد يسمعه
من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) يبقاع الأرض يشرفه
من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت: وقد يؤنسُ الزوارمك إذا التقتوا
سخاء عليه للطلاقة شاهدٌ

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجتته متعتبياً
كانك بالإنقاش تنفُ شاربه

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنى
حاولتُ تنف الشعر من أنا فهم
قم فاسقنيها بالكبير وغننى
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول جرير^(٢) :

أستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

أستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

(١) في الديولن المطبوع « موكلًا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الأسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال لاني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء:

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وقال في الافتخار:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَسْمِهِمْ غَضَاباً

وقال في الغزل:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنَّ أضعفُ خُلُقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى:

فَكَلِمَا أزدادت قَوَى أَجْفَانِهَا صَعْفًا تَقَوَّينَ عَلَى صَعْفِ التَّوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بِيغْضَتِهَا ذُبَاباً

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان^(٢) :

يَغْشُونَ حَتَّى مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبجهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصوزة طارض بها الدرديدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

أتهجوه ولست له بكفء فشر كما للسير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرامهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمُ لا يَبَةُ حَرْبٍ أَوْلَايَ مَكَانِ
وقال ابن هرمة ^(١) في أثر الكلب بالضيف :

وَمُسْتَبِيحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نُوبَهُ لَيْسَقَطُ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالثُّوبِ مَعْصَمُ
عَوَى فِي سِوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبِحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْرَعَ نُومُ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْمَمُ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

وقال عمران بن عصام ، ويروي لنصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنٌ غَامِرَةٌ
فَبَابِكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ طَامِرَةٌ
وَكَلْبِكَ آآنَسُ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمَّمِ بَابِنْتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفْتُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُعْطِرَةِ
فَمَنْكَ الْهَطَاءُ وَمَنْكَ الْبِنَاءُ لِكُلِّ مُحْخِرَةٍ سَائِرَةٍ

وقال الحطيئة في خلاف ذلك :

مَلَوْا قِرَاهُ وَهَرَّتَهُ كَلَابُهُمْ وَضُرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرْفَيْنِ أَيَّامَ الْقَبَابِ
وَأَيَّامِ لَنَا قَصْرَتٌ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ نَائِمَةَ الْكَلَابِ
وقال آخر : وَمَايَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبِ فَا فِي جِبَانِ الْكَلَابِ مَهْزُولِ الْفَصِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نباح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن علي الكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرّةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضررنا فأنما يُراد الفتي كما يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزان وإن ضيف لهم قوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف
 وقال آخر : فدلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بناائل
 وقال محمد بن بشر الأزدي :

فتى وقفَ الايامَ بالعتب والرضا على بذلِ مالٍ أو على حدِّ منصل
 وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها غمامةٌ غيثٌ أو ضبابةٌ قسطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فني بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلامن بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلبها
 إذا ماتلطي في غيِّ أصعق العدى وان فاض في أكرمته^(١) غمر الربا
 رزينٌ إذا مال القومُ خفت حلومهم وقور إذا ما حدث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرمته »

حياتك أن يلقاك بالجوذ راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مفضيا
 حرون^١ إذا طاززته في ملة فان جئته من جانب الذل أصحيا
 إذا هم لم يقعد به المعجز مقعداً وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلوا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلعلم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيخ من بنى الجارو د لاخير^٢ ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخاً يضر^٣ وينفع^٤
 فاذا زياد^٥ في الدبار^٦ كأنه مشط^٧ يقبله خصي أصلع

وقد أحسن البحترى في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك^١ الموهوب^٢ للبأس والتقى^(٢) فله تقواه^٣ والمجد سائره
 له البأس^٤ يخشى^٥ والساحة^٦ ترتجى فلا الفيث^٧ ثانيه ولا الليث^٨ طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك^١ المملوك^٢ للمجد والتقى وصواته لا يستطاع^٣ خطارها
 لقد نشأت^٤ للشام^٥ منك سحابة^٦ يؤمل^٧ جدواها ويخشى^٨ زمارها
 فطوبى^٩ لأهل الشام^{١٠} أم ويل^{١١} أمها أتاها^{١٢} حياها أم أتاها^{١٣} بوارها
 فان سلوا^{١٤} كانت^{١٥} غمامة^{١٦} نعمة وخير^{١٧} وإلا فالدماء^{١٨} قطارها
 أبوك^{١٩} أبو الأملاك^{٢٠} يحيى^{٢١} بن خالد أخوالجوذ^{٢٢} والنعمى^{٢٣} الباب^{٢٤} صغارها
 وكائن^{٢٥} ترى^{٢٦} في البرمكيين^{٢٧} من به ومن^{٢٨} سابقات^{٢٩} لا يشق^{٣٠} غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به المعجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلما » .

طبيب^ه بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^ه فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^ه فما يبقى من المسال باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل^ه (٢) إذا لم يرح للهجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفظنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك باقي أفك فرعون فيكم^ه فان عصا موسى بكف^ه خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم^ه فباقي عصا موسى بكف^ه خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كأن^ه أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كأن » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
من هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يظن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتمجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
يفشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : فلبت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجمل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « بيض الوجوه » معناه مشهورون بهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجدود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتي وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموءل : وأيامنا مشهورة في عدونا لها غررٌ معروفةٌ وحجولٌ
أراد بالفترة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* بيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوه لثيمة أحسابهم فطسُ الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقراً أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
بيكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسكى فينرى البعر من كوة ويلطم الشوك ييلوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
فأذن وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة :

أولئك قوم^ه ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبأ لا ييكم^م من اللوم لو سدوا المكان الذى سدوا
ويهدلنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناةها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمري ان معانى هذه الأبيات أنكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الحطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والحد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والحد خلاف
الهرل والمختار الحد بالحاء . يقول الحطيئة في بنى لأمى بن شماس من قريش ، وكان
الزيرقان بن بدر لقي الحطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزيرقان انى أريد وجهاً فصرت الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الحطيئة
الى امرأة الزيرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمى فهدسوا الى الحطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد^د الى كل طنب من أطناب بيتك
حيلة محبرة وقالوا لامرأة الزيرقان ان الزيرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجدة تخلف الحطيئة وتعاقت امرأة الزيرقان
عنه فاحتمله القريبيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزيرقان فقال :

أزمت^ت ياساً مييناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر^ر كالياس
دع المسكرم لا ترحل^ل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب^ب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبير فان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستمطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
أقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسى وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءتني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغر بالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبج^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخفُ شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الحطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أنجل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان بيد الحطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أنجل من الحطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فأنى مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذةٌ غيرَ أننى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعمدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسكُ الماءَ الغرايلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الحطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الخضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كرورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبيها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :
فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لسم دفرٌ مثل التيوس ونسوة مماجين ^(٣) مثل الآتن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الحطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :

اختر فناء^(١) بنى عمرو فانهم^{أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ}
 إن يسألوا الخبيرَ يعطوه وإن جهلوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أحب فها إلى ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشتو لنحارٌ
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا عليّ فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب

فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأسدّي :

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بمد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «فناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود

هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى سيرها
 ثم قال حدثني يامفضل فقلت أى الأحاديث يشتهى أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن يزيد أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أباها جبالاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الأورى لخيار الناس كلهم وشرم لشرار الناس سوار
 منبه الذكركر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي إذا خفي بك كل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لأخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم نداء أول والغيث ثاني
 ويجري والمجرة في عناب فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس ينأى على نأى المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فل إليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للآذي وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
 أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلي ومن حسب العشيرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قاتنه العرب قول الخطيئة :

متى تأتته تَعشو الى ضوءِ ناره تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالترفضيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحستما صفدى ولكن كنت لى مثلَ الربيع حياً وكان خريقا
وكلاهما اقتعد العسلا فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كبُّ مجدٍ يعلم المجد أنها إذا طلعتْ بادتْ بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليمنك النصر ودانت لك الدنيا وذلل لك الدهر
فأنت كاقبال الشيبية والصبأ تطيبُ بك الدنيا وينعمرُ العمرُ
وليس كرامُ الناس إلا كوا كبا على صفحتي ليلٍ وأنت لهم بدرُ
وفي الناس أجوادٌ كثيرٌ وإنما أولئك أمماد وأنت لهم بحرُ
فان أظلم الأحداث واسودَّ ليها فهم شفقتُ فيها وأنت بها فجرُ

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرأ على المجد والملا
غدت أرضنا منكم سماء مظلة
فان الملا روضه وأنت به زهر
لها أنجم من زهر أخلاقكم زهر
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ من تعطه اليوم نائلاً
ترى الجود لا يدنى من المرء حتفه
بكفيك لم يمنعك من نائل الفسد
كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك الله ياتوب إنها
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجراً
لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
وأشجع من ليث بجفاح خادر
فيطلعها عنه ثنايا المصادر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الاولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع حاجة بلبان أخرى كذاك الحاج ترضع باللبان
يقول فبرفعها الثنون عليه حتى كأنها ثنية رجم :

فأقسم أبكى بعد توبة هالكاً
وكان بيت الأعشى :

تشب لمقرورين بصطليانها
وبات على النار الندى والمخلق
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تمشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت له أقبل فانك راشد
وإن على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تمد في الشعر بمداخنساء .

وتوبة هو ابن الحخير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيحٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فنى إذا عدت تميم معا سادتها عدوه بالخصر
ألبسه الله ثياب العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثاً خلالٍ قد عرفن له هل سب من أحد أو سبَّ أوبخلا
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا ففاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذى لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيث فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ خطِّ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحترى * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظره كأنما بعوراءٍ عيني جده كان ينظر
سبقت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومٍ بهزمهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزعُ الله عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسودِ
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العودِ
وقال البحترى :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن السكراتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً
من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ
وصحته يقول من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبى الصلت في
عبد الله بن جدهان (١) :

عطاؤك زينٌ لأمريءٍ ان حبوته
وليس بشينٍ لأمريءٍ بذلٌ وجهه
وينذل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عِلاتِهِ هَرِمًا
لو نالَ حَيٌّ مِنَ الدنْيا بِمَكْرَمَةٍ (٣)
يلقَ السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَدَى خُلُقًا
قد جعلَ المبتغونَ الخَيْرَ فِي هَرِيمٍ
وروى بعض الرواة للناطقة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لِنَعَمِ الفَتَى الا عَرَجٌ لالنكسِ (٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابرُ المحروبُ والمرجلُ والجمالُ (٥)
والطاعنُ الظمنَةُ يومَ الوغى ينهلُ منها الاسلُ الناهلُ

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي
النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .
(٤) النكس : الضعيف . (٥) فى الأصل « المرحل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :
خُلقتُ أنا ملة لقائم مُرهفٍ
يلقى الرماح بوجهه ويصلده
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا
وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلٍ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي

حفصة ^(٢) في معن بن زائدة الشيباني ^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعون الجار حتى كأنما
بهاليل في الاسلام سادرا ولم يكن
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياهم
ولا يستطيعُ الفاعلون فعا لهم
أسود لها في غيل خفان أشبلُ
لجارهم بين السماكين منزلُ
كأوهم في الجاهلية أول
أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزن أنقلُ
وإن أحسنوا في النائبات وأجلوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادي مثله الراء مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لأمده بقصيدته

السبعين التي مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعمَ المناخُ لرأغبٍ أوراهبٍ ممنَ نصيبُ جوائحِ الأزمانِ
 معن بن زائدةَ الذي زِيدت به شرفاً إلى شرفِ بنو شيبانِ
 مطر أبوكَ أبو الاهلةِ والذي بالسيفِ حاز هجائِنَ النعمانِ
 نفسى فداءُ أبى الوليدِ إذا علا رهج السنابكِ والرماحُ دوائى
 فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهمُ أسودُّها في غيلِ خفانِ اشبلُ
 وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابهَ يوماهُ علينا فأشكلا فما نحنُ ندرى أىَّ يوميه أفضلُ
 أيوم نداءِ العر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغرُّ محجلُ

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا أبو يوسف القاضى - وكان عديل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد أبياتاً فزبره^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى بمثل قول القائل * بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخذا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر^(٢) وقال لو استعمل الانصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يدهُ لم يُحمد الا جودان البحرِ والمطرُ
 وإن أضاعت لنا أنوارُ عُمرته تضاءلَ النيران الشمسِ والقمرُ
 وإن مضى رأيه أو حُدَّ عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدرُ

(١) الزير : الاتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنيتين في تمييز نوعى المثنيين للهجوى .

من لم يكن حذراً من حدِّ صوتته
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته
 سهل الخلائق إلا أنه خشن
 لاحية ذكره في مثلِ صوتته
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا
 الجود منه عيان لا ارتياب به
 لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
 فان أمره فلو عنده الصبر
 كين المهزة إلا أنه حجر
 ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكرك
 بالأمر رد إليه الرأي والنظر
 إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأَفوه :

أوفوا من الجدي والعملياء في قُلِّ
 سبط اللقاء إذا شمت محائلهم
 عُسدون ومن يعلق بجبلهم
 شيم قواعدهن البأس والجود
 بسبب اللقاء إذا صيد الصناديد
 من البرية يُصبح وهو محسود

وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنانها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه
 قليل إذا اعتل البخيل اعتلاها
 وُعدت غداً عادت عليك شمالها

ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا
 أحداً سواك إلى المكازم يُنسب
 أولاً فأرشدنا إلى من نذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حبي قيسٍ
 تُبارون الرياح إذا تبارت
 وهضبتة التي فوق الهضاب
 وتمتلون أفعال السحاب
 يذكري مقامي في ذراكم
 مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلفٍ وولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه
لدمايته وعمسه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
الفاظه أفاض كاتب متأدب قال الامتحان يزيل اللظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفاً بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدماً أبو دلف بدؤاة وقرطاس وكتب :

ريمت لمنشورٍ على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيبٌ جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنتلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف (١) ثم قال :

أشرقن في أسودٍ ازرين به كان دُجَاه لهوى البيض سبب (٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميتٍ مطلبه فن الأدب

فنازل لم يبتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أرَ كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغضُّ ظلاً يُستلب

كان الشبابُ لمةً أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذا أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرن بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربب عن أطفاله
مطرد يرتج في أقطاره
تحسبه أقعد في استقباله
وهو على إرهاقه وطيه
تقول فيه جنب إذا اثني
يخطو على عوج يناهين الثرى
تحسبها نائمة حين خطأ
يرتاد بالصيد فعارضنا به
لا يبلغ الجهد به راكبه
إذا تظنينا به صدقنا
ثم انقضى ذلك كأن لم تبقه
وخلف الدهر على أعقابه
فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
كروثق السيف انبلاجاً بالندی
لاوسنت عينه رأت غرته
لولا الأمير لغدونا هلاً
ولم يقم بيأس يوم وندى
تكاد تبدي الأرض ما أضمره
ويستهل أملاً وخيفة
وهو وان كان ابن فرعى وائل
وبعلاء وعلاء آباءه
يا واحد الدنيا ويا باب الندى
بأعوجى دنفى المنسب
كلما جالت فيه ريح فضطرب
حتى إذا استدبرته قلت أكب
يقصر عنه الخزمان واللبيب
وهو كمثل القدح ما فيه جنب
لم يتواكل عن شظا ولا عصب
كأنها واطئة على نكب
أوابد الوحش فأجدى واكتسب
ويبلغ الرياح به حين طلب
وان تظنى فوته الطرف لزب
وكل بقيا فالى يوم عطب
فى القدح فيه وارتجاع ما وهب
ينهض به فراج هم وكرب
أو كغراره على أهل الريب
واستيقظت نبوته من النوب
لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
ولا تلاقى سبب إلى سبب
إذا تداعى خيله هلا وهب
إذا استهل وجهه وان قطب
فبسماعيه ترقى فى الحسب
تحوى غداة السبق أخطار القصب
ويا مجير الزعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولاندى ولاقريش^١ عرفت ولاالعرب
 خذها امتحاناً من مليء بالحجا لكنه غير مليء بالنشب
 وقرء بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبته ركبتيه فلما
 بلغ قوله * لكنه غير مليء بالنشب * قال لاملأني الله إن لم أملك يا غلام كم في
 بيت المال؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقيل
 له ذلك ، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهري قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائل معن^٢ كل معضلة^٣ يحمى بها الدين أو يرمى بها الحسب
 كنز الحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهاب الذي يرمى العدو به فيستنير^٤ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز^٥ القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل^٦ الخلوم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت^٧ والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده
 اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بدمهم قوم^٨ لكي يدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثرة) (٣) هو طريح
 بن اسماعيل التقي ، أكثر شعره في مدح خليله الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفك الله بالتمكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُوددٌ^١ تسامى له ضخمُ الهمومِ مُهمام
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهنَّدٌ^٢ أو اهتزَّ للافضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمِ عزاً ورفعةً^٣ وخفَّ على الأرواحِ وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقيسه ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمرء عام
يريدونَ منه أن يَضنَّ وإنما أرادوا مُجودَ الغيمِ وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندى خِساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغتَ من العلياءِ ما فاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مُبلغ عني الاكلامَ انهم إذا استيقظوا للمسكرات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت رامتَ ققلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتى أمضى لشأنى مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يامن يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورةِ والذي حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر
الخرزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفرة أبي تمام هذه ألسف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانه
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يبيح على
قالبه ^(١) فأتى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحرى :
ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيدا
فهي الشمس بهجة والقضيب السلدن ^(٣) ليناً والريم طرفاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يحمي وعمرا وإياساً ^(٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسهرراً ^(٥) وجدياً وثدولاً وبجترأً وعضوداً
لم أَدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليف علاءٍ ومجدٍ وفخرٍ وبأسٍ وجودٍ وخيرٍ وخير
أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضاً :

من الغرِّ لآحوا شمساً ومضوا ظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
ومن المديح البليغ قول الأوَّل :
متبذل في الحمي وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحرى «الفض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحرى
«أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسهرراً» والتصحيح
من ديوان البحرى المطبوع .

إذا أحسن الأتقوام أن يتناولوا
فمظمت عن ذاك التعظم منهم
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا
كذلك الشمس تبعد أن تسامى
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟
وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم
فقدوا أمركم لله دركم
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده
ما انفك يجلب هذا الدهر أشطره
لا يطعم النوم إلا الريث بيعته^(٥)
حتى استمر على شزر مريرته
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أقدان الرجال وانه
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨)
لمجد ثناء ثم يزدد^(٧)
وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :
دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدار وارتفاع
(٣) الايادى شاعر جاهلى ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلتها الجرما» .
(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) فى النسخ تصحيف . (٦) أصله
من هو ازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .
(٧) كذا . (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جرة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :
 كمشُ الأزار خارجُ نصفُ ساقه ضبورٌ على العزاء (١) طلاعُ أنجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غد
 إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كالمأم التبدد
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرضِ يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرأى وأما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعزت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه (٢) فعدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجاربِ جزمه (٣) شزراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى (٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هريما
 وبلايل لو أنهن ما ككل لم تخطىء الفسليين والزقوما
 وكرمى بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعنه « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فعدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقداً منه الزمانُ وربما
ووغى ومبدي غارةٍ ومعيداً
تدمى وان من السماح جوداً
إن كان هضب عمائتين تليداً
كان الزمانُ بأخرين بليداً
وقال البحرى :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتسكفا الناس شتى خلالهم
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جنان على ما جرت الحرب جامع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تذود الدنيا عنه نفس أبية
بعيد مقبل السر لا يدرك التي
ومنسكتم التدبير ليس بظاهر
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعاني في أكثر مدائحها إلا البحرى .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله .

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كجد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أخو الجَدِّ إنَّ جَدَّ الرَّجَالِ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إنَّ كَانِ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ما عدت الناسَ بعد محمدٍ فليس لهارونَ إلا ما من نظيرُ
فضله على أبي بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ وعلى وغيرهم من الصحابة رضَى اللهُ تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَحُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

منيع الحى لكن أعناق ماله بظل الندى بسطوبها ويسور
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَحَكْتِهِ رِقَابُ المَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على حاليكما فاذا الندى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأننى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
بروحٍ ويفدو ساجياً في وقاره على أنه يوم المرام ذكيرُ
وليس لأعباءِ الأمورِ إذا عرتُ بمكترثٍ لكن لهنَّ قهورُ
يرى ساكنَ الأوصالِ باسطِ جهده يريك الهويتنا والأُمورُ تطيرُ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إنَّ المَكْرَمَ والمَعْرُوفَ أودِيَةٌ أَحْلَكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أتاك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :
 أتفسدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده
 عن الرجال برب الدهر مضطلعُ
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى
 من كل ذلك القسرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا
 للحادثات بحمد الله نختشع
 لما أخذتُ بكفى جبل طاعته
 أيقنت أئى من الأحداث ممنوع
 ان الخليفة هارون الذى امتلأت
 منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
 أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع
 أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابى طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابى دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائلهُ
 أوضاع أمرٌ ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى
 نجوم السماء بسعى أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء
 فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرضَ الهمُّ في صدره
 لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جئتُ
إذا أيقظتك جسامُ الأمور
فنتي لا يبيتُ على رفقهِ
يحبُّ العطاءَ وسفكِ الدماءِ

وقال البحرى :

إذا المهتدى باللهُ عدتُ خِلالهُ
وقلت : كم غاية لكم تقاصرُ دونها
يعلو كرام العالمين وأنا
وإذا تسمى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبددَ شملها
ذلت له نوبُ الزمان وأصبحت
وقال البحرى :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرضُ ابتدوها كأنما
ودون علاهم للمسامين برزخُ
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيهُ
وذوها جسراً لا يحجبُ الغيبُ دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن عبد الله بن الحسن عن البحرى قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيمى شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد (١) أسرَّ وأضمرأ
يناجى له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروفٍ وقلباً مُطهرأ

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
 طويلٌ نجاد السيف مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وان شمرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبهه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النخيل قول أمانة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية الرصغاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليَّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركون يلعب سناناه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردَّ علي نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمنن يا حضري فقلت وكيف يطمنن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل يمصبه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان اخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا يتنازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
 وقي بهم حملاً وُجوداً وسودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوتقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سبحان مقرونان مؤتلفان
فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واخط طارضه
وخشن جانبه فقال أى المتعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلست ثم قال يابنى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أراده فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الدم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنع
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قوله الأخطل :

شمسُ الهداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن ملبح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليلُ فى ظلماته زهروا
قومٌ إذا شومسوا لجم الشمسِ بهم ذاتِ الآباءِ وان يأسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمةٍ
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
وكالسيفِ ان لا يئنه لانَ منتهُ
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه
وقال خارجة أيضا :

وسفر للسارى إذا جنَّ إليه
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضيء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم
وان نابَ خطبٌ أو ألت مُلمةٌ
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :

ولأئمة لأمتك يا قيصُ في الندى
أرادت لتنى الفيضَ عن عادة الندى
قفلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
ومن ذا الذى يئنى السحابَ عن القطر

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ في البلدِ القفرِ (١)
ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تفضي مآربه من كلِّ فائدةٍ لكن من المجد ماتهضي مآربه
أفاده العزَّ آباءه ذوو كرمٍ وزاده الخلقُ المخضر جانبه
لقد فضلت كرامَ الناس كلهم فهم مناسبٌ مَجِد أنت غاربه
يأليت شعري هل يسطيعُ شكركم دهرٌ مساعيكُم فيه مناقبه
وحينَ أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حينَ أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عينٌ لاتناومه وللحوادثِ قرنٍ لاتغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع (٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوکُ جدی جعفر ولا يصنعون كما يصنعُ
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفمت كفه مشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من حطه ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ
رأيتُ الملوکُ تغضُّ العيون إذا ما بدا الملكُ الاتلع
بديهته مثلُ تدبيره متى هجته فهو مُستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الفنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جلتِ القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقبه من الرشيد فأثرى ، ورثي الرشيد بمد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خيرٍ منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جرى اللهُ خيراً والجزء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتاني وأهلي بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجد كم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حصص إلى منبج فقال :

جرى اللهُ خيراً والجزء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
همُ حضروني والمهامهُ بيننا كما ارفضَّ غيثٌ من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتاني وأهلي بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمفر لما أتانا كما سرَّ المسافرُ بالاياب
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :

لعمري نعم الغيثُ غيثٌ أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الغيثي والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أطعانه وجمائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجملتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلي الترحيلا
وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :

نفسى فداءُ أبي العباس من رجل لم ينسني قطُّ في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من مجهم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النسب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بمث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسى امرأً والشام بيني وبينه أتتني يبشري برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أذى .

أتى زمن البيضاء بعدك فاتحى على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاء ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :
 أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
 يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السرى عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسرى كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
 وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وناه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازى
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل
 (٢) العراقان : السكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق المعجم . كما في
 جنى الجنين في تمييز نوعي المتنين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة من الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيسٍ فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذى بناه لقيسٍ فى القديم رجاءُها
وهل أحدٌ ان مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمسِ فى جِوِّ السماءِ ينالها
لهيات ما عيا القرون التى مضتْ ما ترُّ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأُذُب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أتلك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم فى عيني وملاّت هيته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهملّة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترّ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدي ما يقول من الفيم
وكأنّ ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتى ان لا تزال تُظلنى يدُّ منك قد قدّمت من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الأكار: الحراث . (٣) فى الأصل «يخلف» .

فلو أن مجداً أوندى أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدُ
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصَّوْلِي عن أبي العيَّان عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرَكٌ أَيُّ جنةٍ خائفٍ ومتاع دُنْيَا أنتَ في الحدِثانِ
متخبط يبطأ الرحال غُلبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردانِ
وتفرج البابَ الشديدَ رتأجه حتى يكونَ كأنه بابانِ
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتنبك الاحسابُ أَي حياةٍ وحيا أزمةٍ وحيةٍ واد
حائق مُعتقٌ من اللوم (٣) إلا من مقاساةٍ مغرِمٍ أو نجادِ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهدبِ الألفاظِ مَنْطقهُ مافيه من خَطَلٍ ولا مَينِ
ماشئتُ من ظرفٍ ومن شيمٍ مافي محاسنهن من شينِ
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ أني عيبٍ يوقيه من العينِ

قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الحز وإصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثيرَ الحاسدِ
شخصَ الانامِ إلى كمالكِ فاستعد من شر أعينهم بعبٍ واحدِ
وقال ابن الرومي بمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقصِ حادثٌ وأبي لك التكميلُ أن تزيدا
وكأنتي بك قد نحتَ محمد في النائباتِ كما دعوت محمددا
ذالمت كالسيفِ الحسامِ مجرداً للحقِ أو مثل الهلالِ مجددا

(١) المتخبط : التهار الغلاب . والغلبة بضم تين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى
ومثله قول الآخر :
فا كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغي
ومن أبلغ المديح :

بديته وفكرته سواءً
وصدره فيه لهم اتساع
وإذا ما نابه الخطب الكبير
إذا ضاقت من الهم الصدور
ومن أبلغ المديح قول البحترى :

أخذوا النبوة والخلافة واثنوا
وإذا قريش فضلتك فضلتها
وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها^(١) ونيلها ابن نيلها
لو سارت الأيام في مسعاتهم
رفعتهم الآيات في تنزيلها
وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا
يذكرني جودَ الغائم جوده
تخال به بدرًا مع الليل باهرًا
يدبل من الأيام والدهر منصف
يبرز من الانجاد كل مساور
بخلق كتن الصخر في كف لاس
ورأى كصدر الراغية شارع
على بلدة يسقى الضراغم ماؤها
ومن أروع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «و كريمة ابن كريمة» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن
له كرمٌ لو كان في الماء لم يغيض
أخو عزّات بذله بذلٌ مُحسنٍ
بهو لك أن تلقاه في صدرٍ محفلٍ
وماضيق أخطار البلاد أضاقني
وهذي ثياب المدح فاجر ذيولها
وتكمل إلا في الباب المهذب
وفي البرق ماشام امرؤُ برق خلب
إلينا ولكن عُذره عُذرٌ مذنب
وفي نحر أعداء وفي قلب موكب
اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
عليك وهذا مركب الحدِّ فاركب
وقد أحسن التلوخي في أبيات له منها :

وفتية من حير حمر الظبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت: ما المجدُ إلا ساءٌ أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقه
بالمقدِّ يحكمه والأمر تيرمه
بيض العطايا حين يسودُّ الأمل
وأسد موت بين غابات أسل
والجود إلا غمامٌ أنت سلسله
وكل فاضلٍ حزب أنت تفضله
والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ
مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها الطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأُنَاسُ بِرَدِّ النَّدَى فِيهِ فَيَهْدِيهِ لِنَارِ المَهِمومِ
 وقال ابن الرومي * كَأَنَّ أَيامَهُنَّ كَالْبَكْرِ * وَقَلَّتْ :
 أَيامُنَا فِي جِوَارِهِ بِكُرٍّ وَلَيْلِنَا فِي فَنَائِهِ سَحَرٌ
 ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلا كما بحر
 وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
 وقوله : قتي بشترى حسنَ الثناءِ بماله ويعلّمُ أن الدائراتِ تدورُ
 فما جازه جودٌ ولا حل دونه ولكن بصيرُ الجودِ حيثُ بصيرُ
 وقول أبي العتاهية :

أنته الخِلافةُ منقادةً إليه تجرُّ أذيالها
 ولم تك تُصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها
 ولو رامها أحدٌ غيره زلزلاتِ الأرضِ زلزلاها
 وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأنى واسماعيل يومَ وفاته لكانمعد يومِ الروعِ فارقةُ النصلِ
 فإن أغش قومًا بعمده أو أزورهم فكالوحشِ يدينها من الأُنسِ المحلِ
 الأُنسِ جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :
 أنتَ الجوادُ ومنك الجودُ أوله فإن مُقدتَ فما جودٌ لموجود
 أضحت يمينك من جودِ مصورة لا بل يمينك منها صورةُ الجودِ
 من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجرى الماءُ في العودِ
 وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجدِ طرفه دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقانِ شاغله
 صفت مثل ما تصفو المدامُ خلاله وورقت كما رِق النسيمُ شمائله
 والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعي تزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلى
جملت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
ومن أجود ما قبل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٣ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لولم تكن من نبعة نجدية
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأة تلد الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٤ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٥ شهد العدو بفضلها
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلة
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة
وبالتكرم والافضال مرتبة
قالوا أيمطر من محل ألم^٦ به
مال^٧ يسدده في جمع مكرمة
كروضة أخذت بالغيث زخر^٨ فيها

(١) في ديوان البحترى «كأية إذا» .
(٢) في نسخة «لزب» وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها
 فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد
 لولاك لم تك للأيام منقبةً
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تماؤه
 والسيفُ أرهفَ للمضاءِ غراره
 أنت الربيعُ الغضُّ رقَّ نسيمه
 خلق كنشرِ الروضِ ظل نباته
 للأولياءِ رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضله
 ما ان يزال من المآثر والعلا
 عالٍ تسورَ فوق قمة سودد
 يبدو فيبدي الصبحُ غرة وجهه
 سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه
 وثن أبرَّ على الحسام عزيمةً
 وكأما أقلامه أسيافه
 ما للمجد الا العقد جودك شذره^(١)
 والجودُ في يدك اليمين عنانُه
 مازال فوتك في اللواء موليا
 فاعمر على زمن أغر محجبل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشَّذْرُ : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

نعماء ما صغرت إلا لأن عظموا

كم صغروا منهم والله يكلوهم

وقال أبو يعقوب الخزيمي :

لجان لها يوم الفخار بك الفضل

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها

فلا تعب يدني اليك ولا مهل

حريت على مهل فأنتعت من جرى

فلا مثل ذابذل ولا مثل ذابخل

ويسئل دنياه وينع دينه

وقفت على صوب الربيع رجائيا

وقلت : وقفت على يحيى رجائيا وأنا

تمطيت جدواه ففقت اللياليا

إذا ما الليالي أدركت ماسعت له

وإن آب جاء المزن في الجود ساقيا

إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا

أو البرق جراه ثنى البرق كايا

إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا

حططنا إليه كي تزين القوافيا

فتى لم نزنه بالقوافي وإنما

وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

من الفرّ لاحوا أشمساً ومضوا ظي

فكن باقياً حتى ترى الدهر فانيا

رأيت جمال الدهر فيك مجدداً

عرس تكامل حسنها وعرائس

وقلت : في فية أخلاقهم وفعالهم

للمجد والعلياء فيه مجالس

حل السرور حياهم في مجلس

زهر وإن نظروا العدو حنادس

فهم إذا نظروا الصديق كواكب

فهم ضراغم والعبادة فرائس

أوقيل تلتف الجياد بثلها

فالليل منهم شامس والصبح منهم

دامس والدهر منهم وارس

وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعاً والأمانى

كذلك فوارض الثمرات تدنو لجانيها فتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن البششى عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختری وهب

ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور

بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس الملاطراً عقيد الندى وهب
وماضراً وهباً عيب من جحد الندى كالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهش اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختری ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعین النازل على الإقامة ولا نعین
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المات لكل حي وقت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا أعظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فصل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فجاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين بطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشماله
وما هو إلا المزن تصفو خلالاه ويملو مبهواه ويكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قلوا أنخر بيت قائته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قديماً بفعلهم وُعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قائته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف انك من نيمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بنى نيمير على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قائته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قائته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قائته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحمين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمحرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسْمَى بَعْدَ قِضَتِهَا الرَّحَابَا (١)
ترى برصاً بأسفل (٢) إسكتياً كمنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهبجن بيت قيل قال قول جرير :

طرتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام
قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً
أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في
هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف
من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنيتُ جاهداً وان عدتمُ أنيتُ والعودُ أحسن (٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ومن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بمجمع) مكان (أسفل) . (٣) لعله «أحد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ماظلت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا
قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف
والاياء إلى قدام، والناس يحملون هذا البيت لجليل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تجمد الأسدُ عنا مخافةً فهل يقتلى ذو بنان يطرفُ
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلةً وكم من مخيل يرتجي ثم يخلفُ
إذا انتهب الأقومُ مجداً فاننا لنا مغرماً مجدٍ وللناس مغرفُ
وضعنا لهم صاع القصاص رهينةً بما سوف نؤفيه إذا الناس طغفوا
ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألسن من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم

قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :
ظننت به ظناً قصراً دونه فياربُ مظنون به الخيرُ يخلفُ
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كلُّ من تهواه يهواك قلبه وما كلُّ من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العنسى عن العنسى قال من أحسن ممدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادى بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلى في الشعر واللُب أنى أقولُ على عَلمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه على الناس قد فضلتُ خير أبوابين
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبُّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتنى بخيالاً وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدى الكرام عن العلاء مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصاممتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطف الودُّ بيننا ومظلمة منى بجنبي عركتها
غيره : ومالى وجهٌ في اللثام ولا يدُّ ولكنَّ وجهى في الكرام عريضُ
أصحُّ (١) إذا لاقيتهم وكأنى إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ

وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وبغضى له فاني لبيب أحبُّ اللبيا
بصادفنى الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يداعجيا
وأستعملُ الحلم مالم أكن أضبتُ من الذلِّ فيه نصيبا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروبا
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلّ العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلّ العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكل
فأنا إلا السيف يأكلُ جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تكُ أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثلِ السيفِ في خلق الغمد
ولا بُي هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شيبى قفلتُ لها لاتعجبني من بياض الصبح في السدف
وزادها مجباً أن رحمتُ في سَمَلِ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدرَّ في الصدف
فرأيت في هذا المعنى تكلفاً قفلت :

عيرتني ان رحمتُ في سَمَلِ والدرُّ لا تترى به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عربي رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم موردا
بأبي مثل السيف أحسن ما يُرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مُجردا
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أوردته
في مصراعوهو * والسيف أهيبُ ما يُرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قلل زهير إن شمتَ سراتنا فلسنا بشتامين * للمتشم
ولكننا نأبى الظلامَ ونمتصى بكل رقيقِ الشفرتين مصمصم
وتجهلُ أيدينا ويحلمُ رأينا ونشتمُ بالأفعالِ لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرّم أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أخطق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفردق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبرُّ خيرُ حَقِيبةِ الرّجلِ
قال فأياها أرق قال قوله :

وما دَرَفَتِ عيناكِ إلا لتضربى بسهميكِ فى أعشارِ قلبِ مَقْتَلِ
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً وياساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويثُرُ بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعانِ وطامرٌ واذا جَزِنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يضرّجروا يومَ اللقا واذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رَأْفَتِي واحاطتِي وقد يشتكى منى العداةِ الأبعادُ
وذى تَرَةِ أوجعتهُ وسبقتهُ فقصر عنى سَعِيهِ وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أنفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازن ان مالي أضرَّ به الملماتُ النقال
 أضر به نَعَمٌ ونَعَمٌ قديماً على ما كان من مال وبالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

فلو نَزاد ألفَ ألفٍ لم نزد ولو فقَدنا مثلهم لم نفتقد
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبدالرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسبه الفتى ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بنى الاصفهري فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ واخلل في إِيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشدُّ
 وأنتِ حرْمىٌ لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللُّؤمِ التي فيها تلد
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتت منى فاذا رجل على جبل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هل ههنا من ولد قرد من أحد أعطيهم من رجزي اليوم وغد

فخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهم جلد عند
بنفرن من وقع العصى والقصد
وابن هذيل وابن أشياخ معد
فلو نرأ ألف ألف لم نزد
فارجع إلى ممزك تيساً ذاجيد
قال خلفت انى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حصي
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

نعميرنا أنا قليلٌ عديدنا
وما قلنا من كانت بقاياها مثلنا
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جوهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينة الدنيا من المالٍ أعرضت
ليفتخر بجود من أرادَ فانه
جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كاةٌ إذا طل الكمة لدى الوغى
بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الآساد حتى لو انه
وبطنانها منه وظهرانها تبرٌ
وأمردنا كهلٌ وأشيننا حبرٌ
فأزينٌ منها عندنا الحمد والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكر
بها القطر يوماً قيلَ أيهما القطر
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
وأرماحهم حمرٌ وأوانهم صفر
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ماشككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو طابت فيض أكفهم
وأى يد في الجدي مُدَّت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق^ه
وواقع نعماه عن الحر طائر^ه
متى ما يبصني بالقوارع طرفه^ه
وهما مثل للخطوب جواب^ه
تريك اشتعالاً بالنجوم طوالماً
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تحافى الأيام فهى تخيفنى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع^ه
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى باتم الفضل ليس بقانع
فما صحبته للأنام صنيعه^ه

على كل ذى عقل وبالنكر واسع^ه
وطائر بلواه على الحر واقع^ه
أصابته همتى وهن قوارع^ه
كما أنهن للخطوب دوافع^ه
وهن إذا لاحت بنجوم طوالع^ه
وهن على العلات بيض قواطع^ه
وللنكس تهديد إذا ريع رائع^ه
فكيف ترى أى إذا صلب خاشع^ه
بسوء همتى عليها طلائع^ه
يقوم أزاء النصر حين يقارع^ه
ولكن بأذى بلقة العيش قانع^ه
ويصحبهم منه وفيه صنائع^ه

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن (١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعيرتنا وما ان طل را؟
غلاة موتة والاشراك مكتهل
ان تعسى لدم منا هريق بها
أقمذ وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرضوا أيدياً ييضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجماني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقري فتى وشبابي كهل
وكل فضل لي عليه فضل
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلابي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الخليلي (٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفيته مخيلة ولا يحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يليه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق (٣) من صفاقة الدهر حجر (٤) بنوه فقد بنا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إياه مزاج آباؤه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي بهد الوهم فهما وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رفاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود والتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلي به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من نضاءت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجمفة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدته في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهي على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بمرزته الحجر وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجيلي) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشي . (٣) اعلمها مقجمة (٤) في نسخته « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمرض الإنسان وكحل
العيون بصور الفيضان وأثبت العشب على البحار وأبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومناينة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه إلى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه ما لم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه إن أقام على الفرقة مقبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الاتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بما له وعرضه متمزز بسماؤه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه المجائب لاستماتته من جانب إلى جانب لا تى بمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع إلى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثلته^(١) ومقبل بوده على من
لا يجمله قبلته فانى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدى لما وضعت عليها
جانبا وإن السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتى لما رفعت إليها طرفاً ولو سكتى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجهه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الإخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كلف الخول ويأذن لطواله معاليه بالأقول فان فضل سيدى الخلود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ إلى خفض ومن حالق إلى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معقود خصرى وشعل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
 وفي الناس ان رمت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول
 وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا انى أوردتها لعلو معانيها .
 وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٢ حسامه^٣ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٤
 وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك بالله ما تعلماننى ولا تكتم شيئاً فعندك ما خبرى
 أرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغرى
 وأسأل نيلاً لا يجاد بمثله ويفتحه بشرى ويختمه عذرى
 ويارب يوم ما توارى نجومه ومددت إلى المظلوم فيه يد النصر
 وقال : وقعت الى القوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدداً تقومي وأحسابا
 وأنشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت في اللين والقطعا
 لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
 كلاً لبست فلا النماء تبطرني ولا تخشعت من لاؤها جزعا
 وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
 قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبى عليّ يسير^٣
 فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أواع بالشعر

وينبغي فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصِيبُ الْأُمُورَ لَا تَرَى مِنْهُ بُدَا
بَادِرٌ وَخَلَّ الْهُوَيْنَا وَجَدَّ كَيْمَا تَجِدَا
فَلَنْ تَلْفِقَ جَدًّا حَتَّى تَلْفِقَ كَدَا

ومن يبلغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وَلَيْسَ لِسِينِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ ۖ وَلَا لِسَيْفٍ أُسْوَى وَقَعِهِ مِنْ لِسَانِيَا
وَهِيَ مِنْ قَوْلِ حَسَانَ * وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مَذُودِي *
وَقَلْتُ : وَلِي لِسَانٌ إِذَا أَطْلَقْتَهُ عُرْضًا سَمِعِي مَسَاعِيَّ ضَرْغَامٍ وَثَعْبَانَ
وَقَدْ نَمَتْنِي أَنْجَادٌ جَحَاجِحَةٌ مِنْ نَجْلِ سَاسَانَ تَرَهُوْ نَجْلَ سَاسَانَ
هَمْ الْكَوَاكِبُ فِي أَطْرَافِ دَاجِيَةٍ أَوْ الْعَنَانَ عَلَى أَنْبَاجِ أَعْنَانِ
قَوْمٌ إِذَا مَا أَتَوْا بِالسُّوءِ مَا اعْتَدَرُوا وَلَا يَمْنُونَ إِنْ مَنُوا بِأَحْسَانِ
وَقَلْتُ : مَنْ يَكُنْ صَائِلًا بِمِثْلِ لِسَانِي لَمْ يَضُرَّهُ أَنْ لَمْ يَصُلِّ بِسِنَانِ

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مقدي وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللهُ أَنَّنِي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلٌ
وَأَنِّي لَا أُخْزِي إِذَا قِيلَ مُسَلَّقٌ جَوَادٌ وَأُخْزِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِظْمِي طَوِيلًا فَانْتِي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولٌ
وَإِنْ أَكْتُ قَصْدًا فِي الرِّجَالِ فَانْتِي إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَجَلِيلٌ

إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم
 ولا خيراً في طولِ الجسومِ وعرضها
 ولم أرَ كالعروفِ أمّا مذاقهُ
 وقلت : غنای غنى نفسی ومالی قناعتی
 وغریّ إسلامی وذخری أمانتی
 ولی عزمتُ كالسیوفِ قواضیا
 وتغشى صدورَ النائباتِ صدورُها
 ألا لا یندمُ الدهرَ من كان عاجزاً
 فن لم تبلغهُ المعالی نفسُهُ
 ولا أعرفُ فی افتخارِ الجاهلیةِ أجود
 ولا أبلغُ من قولِ عمرو بنِ كلثومٍ (١) :
 ونحنُ الحاکمونَ إذا أطعنا
 ونحنُ التارکونَ لما سخطننا
 ونحنُ العائفونَ إذا عصینا
 ونحنُ الآخذونَ لما رضینا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إماماً ترينى أمامَ القومِ متبعاً
 يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب
 لا تسألي القومَ عن حىّ صحبتهمُ
 وقال : أميلُ معَ الذمامِ على ابنِ عمي
 أفرقُ بينَ معروفى وبنى
 فاما تلقى حُرّاً مطاعاً
 وأقضي للصدیقِ على الشقيقِ
 وأجمعُ بينَ مالى والحقوقِ
 فانك واجدى عبدَ الصديقِ

وهذا من قول الأول :

(١) في الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن . (٢) في الاصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ نأويا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما بسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دزيد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أنا ملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخمص أقدامنا وان أقصى مناهم لأذنى فعالنا . وقال أبو دلف للعجلى :

وكن على الدهر فارساً بطالا فأنما الدهرُ فارسٌ بطلُ
لأبدٍ للخيل ان تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
فرةً باللجين نقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رابتنا نطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
الناطقة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع الناطقة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكرها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكر سيف بن ذى يزن واتبائه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في رأس غمدان دار منك محلا لا
تلك المكارمُ لاقعبانَ من ابن شيبب بقاء فعادت بعدُ أبو الـ^(٢)
أخذ بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتقفاً في شاذ مهروءع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدهُ من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازات مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظمٌ في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولةٌ لك لا تقى وتغنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصرُ والأيامُ مقبلةٌ اليك بالفتح معقودٌ نواصيها
أمست هرقةٌ تدمي من جوانبها وناصرُ الملكِ والاسلامِ مدميها
إن الخليفةَ سيفٌ لا يجردُهُ إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
مقارعَ الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعياها
وقلت : ما ليلالى والأيامُ منقبةٌ غراءُ تسمو بها إلا مساعيك
ربى يبيك ماتهووى على فرح كما يلقيك ماتهووى ويعطيك
لأنف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليغاً وينميك
ولا تزالُ لك الأيامُ موطأة تمضى قضايك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينتسب ». (٢) فى الاصل « شيبب بقاء فعاد أبعد أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قبل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ بن محمد الحواري :

عليُّ إذا الجودِ والمالي يامعدنَ الانعامِ والافضالِ
يامن به نيطتُ عُرى الآمالِ فحكم الآمالَ في الاموالِ
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالِ مبتدأ يُغنى عن السؤالِ
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصالِ
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرفِ الاحوالِ
فليلهُ أزهرُ ذواشتمالِ كأنه وجهك في الجمالِ
وصبحهُ بلالُ ذوانهمالِ يحكي ندى كفك ذالأسيالِ

جری بماء وجرت بمال

ومنها : قولُ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجالِ
فاشْتَبَهَ الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البالِ
في نعمة ضافية الاذيالِ بعزٍّ ذى العزة والجلالِ
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليال : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتبأغه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لارالت من الله نعمة	تجددُها الأيام عندك والدهرُ
ولازالت الأعياد تمضى وتنفضى	وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فانك للدينا جمالٌ وزينةٌ	وإنك للأحرارِ ذخِرٌ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره	وليس لشيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده	ولا برٌ إلا دونه ذلك البرُّ
فأهديت من حلى المديح جواهرًا	منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهرُ	وتبهي بها الأيام ما اتصل العمرُ
شكرتُ لاسماعيلُ حسنَ بلائه	وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى إلى كرائمى مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً أتمس بها ما اعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجمعت الاعتراف بالتقصير عن حقتك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخيرة
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مرتين^٢ بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً أكثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بالطاق العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سينه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحمك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أباها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمبرك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب لله متصم : النفس لأمر المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وبقية من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبيدة الرياحي لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أتمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطولته وملاه من العز أمدّه وأكمله وألبسه من الانعام أسبغته وأجزله ومهد له من العيش أرغدته وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهناني قليلة النظير منها ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطال الله بقاء سيدي الوزارة بانقائها الى فضله مقادتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بفترة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قررت لديه قرارها وأثقت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهي وليدة ذراه قد آلت لتخطت خطته وعاهدت لابرحت ساحتها فالحمد لله الذي أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذبول الخيبة ويتسقطون في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بمحققين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الاستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بأحيازها الى امضائه وتدييره فما اكسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهنا الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه متمشبه بكفه واعتداله مضاه لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهادة بما يحضر ما خلا السكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خبير لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حلاله التي استعارها من شيمته ومبدأ حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والأمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدى الموهبة التي ساقها اليه ومدروا قها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدير الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميا من أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقد ولد له ابنان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجم أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما ربيع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسم ماأناح وعظيم ماأفاد واكتنفتي من السرور مافسح منهاج القبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأوياء بمسارها وأزججت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ماأدناه من الاميرين السيدين من سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبلغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعلو به الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويقبظا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن آتسها الله وحرصها بذكر مآلقاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاءها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسأته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادرحه من شرف لا حل مقبسه ولا يتعيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نيا التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهاك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا إلى خبر البشرية فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحترى تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته ومقيم تهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادك ملكك مخبره بقريب عهد كان من ميلاده
تمت لنا النعماء فيك ممتعا^(١) بعلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للغز قرن والسماك نديم
فلا أمره التتميم^(٢) كيف تصرفت حالانه ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ومهد سد الليل وهو بهم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتنه خلق محسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحترى « تمت لك النعماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة

ولحده التصميم حين تلاحقت أقرانه ولشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في التهئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشيذ ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيذ
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرك الله فى ساءك ولا ساءك فياسرك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيذ : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك فى الفصاحة . وقلت فى تهئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ فى نجب	عما يعبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويًا	تكثرُ علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلوً	يقربُ من كفِّ محتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش فى ضمانِ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت فى تهئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه فانك قد فصلت بالبر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً وطيرتهُ فى الأفق نَشراً مُعطراً
هو البينُ لم يعدمك محبوباً دنت ومكروهة شطت وصعباً تيسراً
ومر عجائب المعانى تهئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالمقد ^(٢) لرجل زوج أمه :
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة فى محظور منه فكذلك لا تطيع الأنفة فى مباح تحظره ويأوى

(١) فى الأصل « بملادها بهجة » . (٢) فى الأصل « بالمقربة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيزك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنتت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائده من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوالهم في تصارييف نشوم الطفولية والايفاع والشبية والاجتماع والبلوغ
والاكتهال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبقية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواته ممتهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه والله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كسالك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيئة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعيا ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من ادانتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونقني
عني ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة منسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمنأ من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقله
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكأ مقام يخلو فيه
 كل واحد منكأ من رقد يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليه اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالأستصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على مايدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكأل
 أتاك فليصدق بها اعترافك وشركك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراراً للذريد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجربى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها متفاوت بيننا بمايسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمة الله تعالى ماأزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيبك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لممرى وقت حين وصلت بمجبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لثلاثتقدم الماضى عفا الله عنه إلاشخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد اتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيته من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبخت فى حليها واكتنفها بيمان يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

ثُرب ركب مولانا أطل الله بقاءه وكتب أعداءه وكتب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا ير حل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته مايقاد له أقصر الاسار ويحتوي عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداءه ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والله الذي أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم
ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بمجران .

يجودُ بالنفس إن صَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: (١)

تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثالها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم (٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كانَ من حسي ونسي
فلم لم أجدُ شيئاً نَفيساً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني انا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذنته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق اللهَ سائلُهُ
وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُهُ الركباً
فقلتُ له هل جئتُنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحفُ (٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأتُ ولا أتمنى ما حبيتُ لها قرباً
إذا هي وافت من ثمانينَ قامَةً فلا السهلَ أفاها الآلهُ ولا الرجا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بيقداء وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه الى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط «بها الترياً» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذي أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلی عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السامحةَ لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تسيرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزةُ السيفِ المحلى فلما ان ضربت بك انثيت
فهبها مدحةٌ ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافترت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشيةٍ للسؤال في عينه الحيةُ الاسودُ

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أَرعدوا
 ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أبيك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع مدحك وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو ذلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو ذلف كالطبل يذهب صوتهُ وباطنهُ خلوهُ من الخير أخربُ
 أبا ذلف يأ كذبَ الناسِ كلهمِ سواي فإني في مديحك أكذبُ
 وأخذ البحترى قوله * كانوا كوا كبتها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذاغبتَ عن أرضٍ ويمتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاقُ البلادِ خصيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحيسة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهٌ ليل مظلم وحفيفٌ نافحةٌ وكلبٌ موسد
 وأخوك محتلمٌ عليك ضعيفته وخسيفٌ قومك لائمٌ لا يحمدُ
 والضيفُ عندك مثل أسودٍ صالح لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ماجاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساک

قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ يا أطلال قلتُ السلامُ على المحيلِ محال
 عاج الشقى مراده دمن البلى ومرادُ عيني قلةٌ وحجالُ
 لا تادمن^(٢) الراج وهي زلال ولا طرقنَّ البيتَ فيه غزال
 ولا تتركين حليلها وبقلبه حرقٌ وحشوٌ فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لافاد من) .

وليشفين^(١) حي فمٌ وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمه
 ولم يكن لك مالٌ يوم تكسبه
 تحبُّ من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

اذا أعجبتك خصالُ امرئ
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المالُ ان أنت لم تخترب
 فكنهٌ تسكن مثل ما يجيبك
 حجابٌ إذا جتتهُ يجيبك
 أباح لك الدهرُ ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ماكن مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابنَ ورد فانى
 ومن يؤثر الحقَّ التؤوبَ يكن به
 تعودُ على مالى الحقوقُ العوائدُ
 خصاصةُ جسمٍ وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولا يشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال

عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسبح الناس فقد ظم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسماقتنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونُكْرِمُ
فقلت له نعماك فيهم أئمتها ودَعَّ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهمَّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحري :

سحابٌ عداني جودُهُ وهو هامرٌ وبجرٌ خطاني فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمٌ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهُ هِمٌّ لا مُتَهَيِّ لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْ الصَّغْرَى أَجَلَ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لو أن مِعْشَرَ جُودِهَا على البرِّ كان البرُّ أُنْدَى مِنَ البَحْرِ
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذ مُرهماً وافتك بأهل الشرقِ والغربِ
 ولا تمت ان حَضرت ميتةً حتى تَميتَ السيفَ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام:

رأى ابن دهرٍ عَرَقا في خيله أعلم منه بجِداءِ ابله (١)
 قد اعبت أيدى النوى بشمله متمماً مضطلعاً بجمله
 مُنصلاً كالسيفِ عند سله مولودةً همتهُ من قبله
 قد دانَ ذو الفضل له بفضله كالصابِ من يذقه لا يستحله

إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال: همّةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّهُ ألفٌ للحضيضِ فهو حضيضُ

أبلغ ما قيل في يمن النقيية (٢) قول الاعشى:

ولو رحّت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبعٍ لا أوربتَ ناراً
 الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقييتك لو قدحت بهما الأوربت .
 وقال بعض الأعراب:

بذكرني سعداً داءً بالقري لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً الى الماءِ سرى

من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً: وقلت:

ليس للعسين وراء شأوه الى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا همُّ بأمري ناله فسواء جدّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيية: النفس، يقال فلان ميمون النقيية إذا كان مبارك النفس.

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقت وكم بادىء المزنِ غير معقب
ولسا يفرره تغلب دهره فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب
ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادى لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يُخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا
فدبت عينه صرف المهمة إلى نقتتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من
حيث يخفى مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أنململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقَ به دونى فعينى تهملُ
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي ^(١) :
أشدُّ على الكتبية لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمـ
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو فريصتهُ كشدق الأعلم
 هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أني أخشى الوغى وأعف عند المنعم
 ومدحج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
 سبقت يداي له بما جل طعنه ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفرُ محبة لنفس المنعم
 ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكن تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجاء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عيس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زيبية وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنتره » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لمرور
 ولقد أعطفها كارهةً حين للنفس من الموت هرب
 كل ماء لك متي خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإني لمرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لمرور » بالالف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلي بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إلى النفس أول مرة فرُدت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصمقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخر جوامستر عفين بخالد بن الصمقب فحمت عليه فطمنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعدي . مستر عفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسَّعالي حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادم حببت^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قيل (حببت) .

وكنت إذا ما هممتُ اعترمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلها
وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتتُ رسائله
له نسبُ الأنسى يعرفُ نحلَه وللجنِّ منه خَلقه وشأنه
وقال عبيد بن أيوب :

فله درُّ الغولِ أي رفيقه لصاحبِ قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعله الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا ليني وذكر أنه ذهب إلى جبل فناده فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقتل قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر إذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى إسرائيل قال حنثمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أي كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أيأناً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرفِ الهجرانِ إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيئه إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمرُك ما أدري وإني لأوجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنثمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة وتلقه رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا آيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عقي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المسكروه مالي وضربني هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غار الموت مُنغمس إذا تأني على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء بأسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانلقا

بضربة لم تسكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بمشتر بصطاد الرجال إذا مالليث كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن محام (١) :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموت به شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى ما نابني فأجابني كريم من الفتيان غير مزج (٢)
 فتى يملأ الشيزى (٣) ويروى سنانهُ ويضرب في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قائته العرب قول كعب بن مالك :
 نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيماً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
 خطو تترى الصارم الهندي منتصراً به من المارن الخطى منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الاسلام .
 (٢) مزج كعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .
وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلى شكوكا إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :
قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للنايا عارضاً لبسوا من اليقينِ دُروراً ما لها زردُ
ناءٍ عن المصرحِ الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين
قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخى الطولِ
حاط الخلالةَ سيفٌ من بني مطر أقام قائمهُ من كان ذا ميل
سيد الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيفِ لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلٌ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كاللوتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوفِ نفوس^(١) النياكثين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرِ عادات وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ مسالكِ الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوفُ الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرُهم لا تقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أود إذا سلمت ولا في الدين من خال

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل
 وقوله : سلّ الخليفة سيفاً من بنى مطر
 كالدهر لا ينثى عمائهم به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضى المنايا لما تمضى أسننته
 وله أيضا :

يلقى المنية في أمثال عدتها
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا
 كالسيل يقذف جهوداً بجهود
 غنى الحديد غناءً غير تفريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموتِ رجله
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 غدا غدوةً والحمد نسج رداءه
 فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
 وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغي اللحد ولا أبغى الكفن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحترى :

لقد كان ذلك الجأش جأش مسالم
 تسرع حتى قال من شهد الوغى
 لقاء عداة^(١) أم لقاء حبايب
 على أروس الاقران خمس سحائب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب

سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعدم جوازِيهٗ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه^(١) :

والخيرُ تردادُ منه ما كفت^(٢) بهِ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيدالله الابرصى :
الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لاحالةٌ زائلٌ

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دويبةٌ تصفرُّ منها الاناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت * وكل نعيم لاحالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قریش فلطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية «لقت» .

له الوليد كنت في ذمة منبعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاولُ انحبُّ فيقضى أم ضلالٌ وباطلٌ
حبائلُهُ مبشوثَةٌ بسبيله وبغنى إذا ما أخطأته الجبايلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضي عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورسفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجاتنا وحاجةٌ من عاش لا تنقضي

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون : كل امرئ في شأنه ساعي • وأنا أقول :

كان مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلِّ من يلقى من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأكرومتين فأما يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراكٍ مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأبها
وان قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها

أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطأمن شئت يغنيك عن الخناءِ في الدرِّوةِ
فكم أنساك ما نهوا هُ نيلُ الشيءِ لم نهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتهُ . كئائب ناسٍ كرها واطرادها
 أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
 وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى ان ترضى النفوس ثادها
 وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
 وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالديك
 وذمٌّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
 وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
 دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
 هذا على الخسف مربوطٌ برمتِه إذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللثيمُ مطّاً حاجبيه وذادَ عن حريمِ درهميه
 فترك عنانَ البخل في يديه وقم إلى السيف ^(١) وشفرتيه
 واستنزل الرزقَ بمضرييه إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
 وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردّنى إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ ^(٢)
 وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
 وقال ديك الجن :

لا تقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةٌ حالِ
 وإذا خفتَ ان يراهقك المدُّ مُفمذ بالمتقنات العوالى
 وأهن نفسك الكريمةَ للموت وقحم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجلُّ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
 أى ماءً يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندى وأهل النوال
 فقليلٌ من الورى من تراه يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاسترأت رحيلي سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعلَّ المنيةَ قبل القبول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفتُ بك صعبَ المرام واستجمعت لك غير الجميل
 سأقبي العفاف وأغني الكفال فليس غنى النفس جودُ الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعدُّ لذمَّ البخيل
 وأعلمُ أن بنات الرجاء تحلُّ العزبَ محلَّ الذليل
 وأن ليس مستغنياً بالكثير من ليسٍ مُستغنياً بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيتُه نبي الشعر. وقال البصير :

قلتُ لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفلح ولم أكد
 لا تجمعوا اب تهبينونى وأكرمكم ولا تمدُّوا الى نيل اللثام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لفسد
 فرباً ملتبسٍ مالىس يُدركه ومدركهُ ماتمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فهناه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسى نشأ فى البصرة.

فقالوا الرقيهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فرارة ولا بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خاطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرجِ اللّوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزبةٍ إن غوت غويتُ وإن ترشُد غزبةٍ أرشُد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بمواقفة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميماً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمر الفظيماً
أردتُ رشادَهُ جهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزرى :
تمخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولاهش
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعتهُ من زور قول ومن غش
وقال آخر :

ألم تعلم يا بنى رجاجة أنى أغش إذا ما للنصح لم يُقبل
ومن جيد ما قيل فى النصيحة قول مخيس بن أرتاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصح مر
وما بى أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقعاء شر

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلتُ له تجنبْ كلَّ شيءٍ يُقالُ عليكُ إنَّ الحرَّ حرٌّ

ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أجا الصدقِ الذي ابن يخذعكُ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعكُ

ومن إذا صرفُ زمانٍ صدعكُ شتتَ شملَ نفسه ليجمعكُ

وإن غدوتَ ظالماً غدا معكُ

فسرّوه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما

أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »

وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزمِ فقلتُ هشيمهً من أهل نجد

نهيتك عن رجال من قريش على محبوكةِ الأصلابِ جرد

ووجداً ما وجدتُ على رباحِ وما أغنيت شيئاً غير وجدى

وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنهُ

وإذا رأيتَ منافساً في نيل مكرمة فكنهُ

إن الصديقَ هو الذي يراك حين تغيبُ عنه

وإذا كشفتَ غطاءهُ أهدتَ ما كشفتَ عنهُ

مثل الحسام إذا اتضأ هُ أخو الحفيظة لم يخنه

يسعى لما تسعى له كراماً وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من مصيبة زيدٍ أربى فتي إذا نهته لم يعضب

أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرضن بالمتاع المحب

موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى ما لم يبذل
 يحمل من ثقلى ما لم يحمل
 لما جد أجملَ إذ لم أجمل
 فعزَّ في عيني حين ذلَّ لى
 إن جمالَ الحرِّ في التجمل
 وقد يكونُ العزُّ في التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى
 ولو كنتُ النانى إذا كنتَ آمنا
 يلوُمك إن ولى ويرضيك مُقبلا
 وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضلا
 أبلغ ما قيل في التأنى وأجوده وأشدّه اختصارا ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا
 وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فأوغل فيه
 يرفقِ فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
 الحقيقة ، وهى شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطَّ بها أكوار خوص لو اغب
 نقض عبدة حلَّ الفراقُ عقالها
 يقلُّ ! كثار الذميل ذميلها
 وأقلقَ هجران الحبيبِ مقيلها
 فلا غرو إن فاضت دموعُ متيمٍ
 على الدار يسقى ظلمن طولها
 ومن المشهور في التأنى قول القطامي :

قد يدركُ المتأنى بمض حاجتهِ
 وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلُّ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ
 وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
 الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفا مردودا وكثيرا ما يقع « كل » في
 الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فبالأنى دعنى أغالى بقيمتى
 فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ عُتْبَةً أنى منها على أجل مطل

وشكوتُ ما ألقى اليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكا يشكو الأذل

قالت فأى الناس تعرف ما تقول فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فمطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

وأول الأبيات :

رأتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظره زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شدت تجرد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف» .

دعنى الى فضلِ معروفكم وجوهٌ مناظرُها معجبه
 فأخلفتُم ما توسمته وقلَّ حميدٌ على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضةٌ فألفتها دمنةٌ مُعشبه
 ظلمتكم لا تطيبُ الفروعُ إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذرونى كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيتُ موازينكم بالسواء وعُذرتُ بغير فلا مَعْتبه

وقد قال الناس : الطمأنينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدنَّ امرأً حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد * الشكر كفو النعمة . ولا أطرف من قول البحتري : الشكر نسيم النعمة . وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيدي وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت بربِّ العيسِ تهوى بركبها الى حريمٍ ماغنه للركبِ معدلُ
 لما بلغ الانعامُ في الفضلِ غايةً تفضلُ إلا غايةُ الشكرِ أفضلُ
 ولا بلغت أيدى المنيلين بسطةً من الطولِ إلا بسطةُ الشكرِ أطولُ
 ولا ثقلت في الوزنِ أعباءُ منةٍ على المرءِ إلا منةُ الشكرِ أثقلُ
 فمن شكرَ المعروفَ يوماً فقد أتى أخا العرفِ من جنسِ^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثرُ منه
 ونحنُ أكثرُ منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظام النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سَعِيَتْ^١ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي
 قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعَهُ قَوْلُهُ مَغْلُوبًا أَحْسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
 فِرَاقٌ حَيْبٌ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِسٌ^٢
 لِأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً
 فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي
 وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنبَتٍ شَعْرَةٌ
 وَقَوْلِ دَعْبِلِ :

هَجَرْتُكَ لَاعِنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
 وَلَكِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاغِبًا
 فَمَلَانَ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا
 فَإِنْ زِدْتَنِي فِي بَرِي تَزِيدْتَنِي جَفْوَةً
 وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مَنْ ضَعَفَ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرَفًا
 أَوْهَتْ قَوِيَّ شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفًا
 حَتَّى أَقْوَمَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا
 لَاتَسْدِينِ إِلَى عَارِفَةٍ

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ

الْكَلَامِ فَضَّلَ أَلْفَاظَهُ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ اسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ
 أَدَابَتْ شُكْرِي فَامْسِي مِنْكَ فِي نَصَبٍ
 لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ
 لَمَّا سَأَلْتُكَ وَافَاتِي نَدَاكَ عَلَى
 مِنْ الْعَمَلِ وَالْعَمَلِ مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ
 أَقْصَرَ فَمَالِي فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
 شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَى أَبِي
 أَضْعَافَ شُكْرِي فَلَمْ أَنْظُرْ وَلَمْ أُخِبْ

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتني »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءهُ باعُ شكري
وآسى أن تطولَ بداي منهُ
كان ندى يديه عناقُ بين
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه
حناني ثقله ولو أنَّ قوساً
فها أنا منه مفتقرٌ وغاف

قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
إلى ما لا يُطاوُلُه لسانى
فليس يسرُّنى إلا شجانى
فضاقَ بوصفه ذرعَ البيان
تلقى منكبيّ لما حنانى
وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةٌ
أخجلتني بندى يديك فسودت
وقطعتني بالجوْدِ حتى أني
صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطعةٌ
ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر
حتى يتم لك الثناء مخلداً
فنظّلُ تحمدك الملوكُ الصيدي

لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
مايننا تلك اليدُ البيضاء
متخوفٌ أن لا يكون لقاء
عجيباً وبرُّ راحٍ وهو جفاء
يرويه فيك لحسنه الأعداء
أبدا كما تمت لك النعماء
وتظل تحسدني بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرني سوء رأيك فيّ فما أهتدى
لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا نفظمني من حسن رأيك
فأضوى ولا نسقطني عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى

مَنْ مُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ وَمُكَافَاةٍ مَا أَنَالَ وَأَسْدَى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقي رجعتني لهُ أياديه عبدا

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما بمنه
نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المباشرة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلواء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتاملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتمتحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيان بذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحق الأبناء إذا تجلى بيوافقت الأنوار والآلئ الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بالٍ وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسيره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفات بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الخقائب
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيع بما أوليت من حسن وكل ما تدعيه غير مردود
كلى هجاء وقتلي لا يحل لكم فسا يداويكم منى سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجرى في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرةً فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناى لغارسي

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تُنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جلّ وعزّ يشكرُ فعلَ من يتلو عليه وحيه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر ما بذلت من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرتُ عنك الى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كُنكرُك
ورجعتُ من كُتب اليك مفرغاً نفسى لِشكرُك
ولما أروم بما تم ل زيادةً في رفع ذكرُك
لكه حق أوفيه عوانك بعد بكرُك

كم نعمة لك ملء فكري لا تلاحظها بفكرك
 (أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
 أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل
 فلاتحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكن صبري يأميمٌ جميل
 وبعمده : ألم تعلمي ان قد تفرقَ قبلنا خليلاً صفاء ممالكٍ وعقيلٌ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب :

وتجلدى للشامتين أريهمُ أني لريبِ الدهرِ لا أنضمضعُ
 حتى كآني للحوادثِ مروءةٌ بصفا المشعر كل يوم تفرع
 وقوله: وإني صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لَجَّ من ماءِ الشؤونِ لجوجُ
 لأحسبَ جلدًا أولينبا شامتُ وللشرِّ بعد القارعاتِ فروجُ

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي :

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهبُ فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
 هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورةٍ أوجب
 فشدَّ امرؤٌ بالصبرِ كفاً فإنه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
 هو المهربُ المنجى لمن أهدت به مكارهُ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ
 لبوسُ جمالِ جنةٍ من شماتة شفاءُ أسى يثني به ويشوب
 فيأعجباً للشئ هذى خلاله وتاركٌ مافيه من الخطِّ أعجب
 وقد يتظنُّ الناسُ ان أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
 وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ يصرفه ذو نكبة حين ينكب
 فان شاء أن يأسى أطاع له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش الى زمن عمر .

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 يصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج محتج^١ على النفس لم يكف
 وساعدها الصبر الجليل فأقيمت
 وإن هو مناها الا باطيل لم تزل
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة
 فلا يمدن^٢ التارك الصبر نفسه

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داء^٣ دفين^٤ لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبه
 واجمل طلابك بالاول وتار ما عظمت
 ثم قال يمدحه :

وخير^٥ سجيات الرجال^٦ سجية^٧
 وما الحقد إلا توأم^٨ الشكر في الفتى
 فحيث ترى حقداً على ذي اساءة
 ولولا الحقد المستكنات لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تسكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية^(١) شمراية^(١) وقال * ففرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزع^٩ يجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل و الأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرتُ جلادةً لكن ثقله حيلتي أنصبرُ
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبرُ من عود بجنيبه جلب قد أثر البطانُ فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيينة بن حصن :
 أصبرُ من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكٍ ألقى يوانى صدره للمبركِ
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والذى يقول لعن الله الصبر فان مضرت طاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة فى العاقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرُ ونفعُ من لامَ فى الهوى ضرر
 من كان دون المرادِ مُصطبراً فلستُ دون المرادِ أصطبر
 منفعة الصبرِ غيرُ طاجلةٍ وربما حالَ دُونها الغير
 فقم بنا نلتمس ما ربنا أقامَ أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أغانهن ^(١) الزمان أويذر
 وابتغ من العيش ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها فى الحلم ما سمعت عم أبى يقول الحلِيم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحلِيم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه فى ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلِيم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأوَّل :

(١) فى الاصل «أغانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذا كان عندَ السخطِ لا يتحلمُ
 كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرمُ
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجدَ أقوامٌ وان كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لا أقوام
 ويشتموا فترى الألوانُ مسفرةً لاصفح ذلٌّ ولكن صفح أحلام
 ومحمته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمه ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يصبرُ
 ولا أعرف فى الحلم معنى أحسن من معنى معاوية فى قوله انى لأرفع نفسى أن
 يكون ذنبٌ أورهته من حلمي وماغضبى على من أملك أو ماغضبى على من لأملك .
 يريد انى اذا كنت مالكا للمذنب فانى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسى
 الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبى فلم أغضب عليه فأضر نفسى
 ولا أضره . وقال الشاعر فى الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مفض على العوراء لو لا الحلمُ غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لى وان كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شىء قيل فى الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وان كثرت منه على الجرائمُ
 وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم
 فأما الذى فوقى فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
 وأما الذى مثلى فاب زلٌّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالمرءِ حاكم
 وأما الذى دونى فان قالَ صنتُ عن إجابته عرضى وان لامَ لائمُ

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن حاصم باين له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى خُلُقِي دَنَسٌ يَفِيرُهُ وَلَا أُنْفُ
من منقر في بيتٍ مَكْرُمَةٍ والفرعُ يَنْبِتُ فَوْقَهُ الْعَصَنُ
خطباءٌ حينَ يَقولُ قائلهم بيضُ الوجوهِ مصاقعُ لسنُ
لا يفظنونَ لعيبِ جارهم وهمُ لِحفظِ جوارهم فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لَدَى الوزنِ أنقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلمنا
ومن أشرفِ نعوتِ الانسانِ أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصاحباً ومحتماً وكافلاً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرام السجايوا والخصال . وقد خواف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عَوْنَ عدوِّه عليه فإنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليلٌ الأذى إلا عن القرنِ في الوغى كثيرُ الأيادي واسعُ الذرعِ بالفضلِ
ويحلمُ مالم يجبِ الحلمُ ذلَّةً ويجهلُ ما شدت قوى الحلمِ بالجهلِ
وقال غيره :

(١) في النسخ « حفص » في مواضع .

ترفتُ عن شتم العشيّة انى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شىء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيت تغمده والصفح عنه
 إجلالاً لقد مر مولاہ واعظاً ما ألحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعدِ الينا قطوعُ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعَلوها وطولُ العفو أدربُ^(٢) للظلم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبى مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى ويصرُّهُ في المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجِّعٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأجاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامِ نائمِ
 وقد ترد الأيامُ عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروانٌ قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجرى سادراً في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الققامِ
 تجردت للإسلامِ تعفو رسومه وتعى مطايا لبوئ الضراغمِ
 فإزلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لهله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الغاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضىء وتارة
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن
ولا تجعل الشورى عليك غضاصة
وماخير كف أمسك الغل أختها
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن
و حارب إذا لم تعط إلا مظلمة

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه
فانك لانستطرد الهيم بالى
وما قارع الأقوام مثل مشيع
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجحى قال سمعت المازنى
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشارهذه أحب إلى من ميميتى جزير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بثمرته
أو خطأ يشارك فى مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا انكبر
على وتصاغت له ودختنى الذلة فمليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
مهيّب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعض شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاؤه . فذم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان .
وقال رومى الفارسى نحن لانملك من يشاور فقال الفارسى نحن لانملك من

لايشاور، وقد أجمع الناس ان الفرس أعدل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملكت . ويقولون
الطمع طمع، والطمع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفي
والغفَةُ القوت وأصلها الفأرة^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة^(٢) :

الأثمي عميرة أن رأتي عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلتقي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أني أتبع لها حرباء تنضبة^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومحرقٌ عنه القميص تحاله بين البيوت من الحياء سقيا
حتى إذا رفع اللواء رأته تحت اللواء على الخنيس زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يُجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فظنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كرّم يغيض الطرف فضل حياته ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لا ينته لأن مسه ووداه ان خاشنته خشان

وقال أبو دهب :

تزر الكلام من الحياء تخاله صمتاً وليس بجسمه سقم
عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم
غيره : انى كأتى أرى من لحياء له ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاختبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول:

ومالب اللبيب بغير حظ بأغى في المعيشة من قيل
رأيت الحظ يستر عيب قوم وهيات الحظوظ من العقول
والعرب تقول «اسع بجيد أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت ناقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا وأفضل من عطاياها السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب انى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقت :

ألا إن القناعة خير مال لدى كرم يروح بغير مال
وان تصبر فان الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن بليت بسوء حال فان من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأى والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمعى الذي يظنُّ بك الظنُّ كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا يذمُّ الرجل بعمله حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت مارأيت . وقلت :

أمانك مصروفٌ إلى كلِّ راهبٍ وسيبك موقوفٌ على كلِّ راغبٍ
تباشرتِ الدنيا بجدِّ واكِّ واكتفتِ فلم تتباشرِ بالغيوثِ الصوائبِ
تبسمَ منك الدهرُ عن زائنٍ ^(١) له وعين عليه في اختلافِ النوائبِ
بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ تكشف عن رأى وراءِ العواقبِ
ليشركَ مجدُّه لانزالَ تحوطهُ وتحميه بالنصلينِ عزمٍ وقاضبِ
كأنى إذا أمسكتُ منك بعُرْوَةٍ أخذت باهدابِ الغيومِ السواكبِ
وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أى تمام :

وركب كأطرافِ الاسنةِ عرسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تمَّ صدورهُ وليس عليهم أن تمَّ عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلامٌ وغى تقحمها فأودى وخانَ بلادَهُ الزمنُ الخوون
وكان على الفتى الاقدامُ فيها وليس عايه ماجنتِ المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصانُ رداء الملك من كلِّ جانبِ
بأنك لما استخذل الأمر ^(٢) واكتسى اهابى سيبى فى وجوهِ التجاربِ
تجلتهُ بالرأى حتى أريته به ملءَ عينيه مكانَ العواقبِ
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكلُّ لنجمٍ فى الدجنةِ ناقبِ
وكنت متى تهزز لخطب تعشه ^(٣) ضرائب أمضى من رقاق المضاربِ
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنسا والقنابلِ

(١) في هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيلَ في كتمان السرِّ قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لست أطلعُ بعضهم (٢)
وقال الآخر: سأ كتمه سرى وأحفظُ سره
علم فينسى أوجهول يديعه
كتوم لما ضمت عليه أصابعه
على سرِّ بعضٍ ان قلبي واسعه (٣)
ولا غرني أنى عليه كريمُ
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه
فصدرُ الذي يستودع السرَّ أضيقُ

أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسمِ الله للمرءِ عقله
إذا كملَ الرحمنُ للمرءِ عقله
يعيشُ الفتى بالعقل في الناسِ إنه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناسِ صحة عقله
ويزري الفتى (٤) في الناسِ قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقرِ أوضعَ للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
إذا عاشَ بين الناسِ منعدم (٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الاحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلملهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حامم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدياً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أديبه ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بمخذا فيره وجمه بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بميب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
 قتمَّ جاهي عند الناسٍ كاهمٍ وطابَ عيشي في أهلي وأصحابي
 عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدبرِ ذو طاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيتك يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شانه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتتُ عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمر كما سواء
وإن داويت دنيا بالتناسي وبالبيان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فيخاطر فأم غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنال جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو أخيه
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حين يبتسمُ
جعلته مهيباً في السكون والاعضاء ولو جعلته مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يرجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان النهى وهو المهيب وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيه جاء في الهيبة قولهم (كان على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمر في القلب عتاباً له فان بدا أنسيت من هيبته
ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أها بك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولا أن قل منك نصيبها
لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من البذور
وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم * وقد أجاد أبو تمام في صفة
الهيبة والحافة فقال :

نبت المقام يرى القبيلة واحداً ويبرى فتحسبه القبيل قبيل
وقال :

قد أترعت منه الجوانح هيبه^(١) بطلت لديها سورة الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدت وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشراً
وقال الأشجع في ابراهيم بن نهيك وقد ولي المعونة :

شدَّ الخطامَ بأنفِ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا هيبةً تلقى البريءَ بفضلِ جرمِ المجرم
منعت مهاتك النفوسَ حديثها بالشيءِ تكرهه وإن لم تعلم
ونهجت من حزمِ السياسةِ منهجاً فهمت مذاهبهُ الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن المبشمي عن المبرد :

وأبيت حياً في الحروب محاهم والجيش باسمِ أيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمامَ بارِ دينة السميرِ
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفاً والجياد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابنَ عمِّ محمد رصدان ضوءُ الصبحِ والاضلامُ
فاذا تنبهَ رعتهُ وإذا غفا (١) سلت عليه سيوفك الاحلامُ
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيتُ فيهِ الهومَ والأطما وصرتُ فيهِ بينَ الورىِ علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمتُ كانَ لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ « نُصرت بالرُّعب » وما وصف أحد هيبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشمِّ سميدع
 يقومون من بُعدٍ إذا أبصروا به لا بُلجٍ موقورِ الجلالةِ أروع
 ويدعون بالأساءِ مثني وموحداً إذا حضروا بابَ الرِّواقِ المرفع
 وإن سار كفَّ اللحظ عن كل منظر سواه وعض الصوتُ عن كل مسمع
 فاست ترى إلا إفاضةً شاخص إليه بعينٍ أو مشيرٍ بأصبع
 وقوله: تراءوك من أقصى الساطِ فقصروا خطاهم وقد جازوا الستورَ وهم عجل
 ولما قضا صدرَ السلامِ تهافتوا على يدِ بسامِ سجيتهُ رسل
 إذا أسرعوا في خطبة قطعتمُ جلالةً طلقَ الوجهِ جانبهُ السهل
 إذا نكسوا أبصارهم من مهابة ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقومُ فوقَ سرورهم تناثرتِ الأشرافُ منهم على الأرض
 وقال البحترى :

ومبجل وسطَ الرجالِ خفوفهم نقيامه وقيامهم لعوده
 فاللهُ يكلؤهُ لنا ويحوطهُ ويعزهُ ويزيدُ في تأييده

أبلغ ماجاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
 وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعدِّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
 كـ ابن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
 ابن إريانة حدثنا على بن حكيم الأذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
 عبد الله بن حسن بن محمد بن على عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
 رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج راع
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يجرسك وأنت تجرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تسكتسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدوثه بمد وفاتك، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
مات خزان المال والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاه ان ههنا لعالمًا جمًّا لو أصبت له حملة بلى أصبت لقنًا^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو متقادًا لجملة الحق
لابصيرة له في اجنائه فيقدهح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أو لا ذا
ولاذا فمنهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شهبًا بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتحلوا الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف اثلاً تبطل حجة الله وتبيناه وكم وأين أولئك الأقلون عددًا
الأعظمون قدرًا بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاه شوقًا الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت

بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالتقريب حجة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودع العلم قرطاساً فضيعه وبئس مُستودع العلم القراطيس
وقلت : تقل غناء عن جهول مغمر دفاتر تلتقى في الظروف وترفع
تروح وتغدو عنده في مضية وكائن رأينا من نفيس يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لعى ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان كما اتحنى وينظر في اعطافه نظر الصقر
ونحوه : لا خير في حشو الكلام م إذا اهتديت الى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الاعراب وترك التفسير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

وبعجبتني زى الفتى وجماله ويسقط من عيني ساعة يلحن
على أن للاعراب حداً وربما سمعت من الاعراب ما ليس يحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الانبارى عن أبيه :

شفاء العى في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الفعال
وبحثك في الأمور عن المعاني وتخريج المقال من المقال
وقولاك بالصواب إذا أتت شواهد ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من الحمال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن
 دريد قال أحمد بن عيسى العكلى حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم
 القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن
 الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزير
 الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة
 وحاصد يذهب بالضغين ومُله يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة
 اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد
 ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز
 التتوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح
 السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه .
 ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو
 عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه
 أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن
 وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن
 أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بيباب
 الأوزاعي وفيها اعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فليل له بحق ما سميت خرس
 العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره
 وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي
 فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن
 أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید اللہ قال قال جدی : الصمت منام الماقل والنطق یقظته ولا یقظة إلا بمنام . قال أبو ہلال : وأنا أقول الصمت یورث الحبسة والحصر وإن اللسان کما قلب وأدیر بالقول کان أطلق له : أخبرنی بعض أصحابنا قال ناظقت فنی من بعض أهل القرى فوجدته ذلیق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعدد کل یوم إلى خمسين ورقة من کتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز علی ذلك مدة حتی صرت إلى ماتری . وسمی البیان سحرراً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول اللہ ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البیان : حدثنا أبو القاسم عبد الوہاب بن ابراهیم أخبرنا أبو بکر أحمد بن حماد العقدی أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنی قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زیاد عن عیینة بن عبد الرحمن عن أبیه أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال لعمر بن الاہتم أخبرنی عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع فی أذنیه شدید العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه لیعلم منی أكثر من هذا ولكنه حسدنی . فقال عمرو : أما والله یارسول اللہ انه لزم المروءة ضیق العطن أحمق الوالد لئیم الخال وما کذبت فی الأولى ولقد صدقت فی الأخری رضیت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول اللہ ﷺ (ان من البیان لسحراً وان من الشعر لحکمة) وأما تعجب رسول اللہ ﷺ من نقضه وإبرامه فی حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فیہ فی کتاب صنعة الکلام .

ومما یدخل فی بابہ ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولی حدثنی الطیب بن محمد الباہلی قال موسى بن سعید بن عن أحمد بن یوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التیمی علی أبی العباس السفاح وعنده أخواله من بنی الحارث بن کعب فقال له ماتقول فی أخوالی قال هم ہامة الشرف وخرطوم الکرم وغرس الجود إن فیہم لخصالاً ما اجتمعت فی غیرہم من قومہم انہم لأطولہم أمماً وأکرمہم

شياً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمناً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرغد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودانج جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملكتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأى جسد بلغ المسازح
ومثله : صارَ جسدًا مافرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لعب

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه .

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعائنته وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي به تستجيرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبيته :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أي
 عزت ولم تكسر وإن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان فان كان في نفوسكما شيء من بعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئنا قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لما قبلنا ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاه شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتظير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعتى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظانارَ ضغنه
 إذا سمعته وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسعى لىكى أبنى ويهدم مصالى
 يحاولُ رغمى لا يحاولُ غيره
 فان أنتصر منه أ كن مثلَ رائش
 فبادر متى التأى والمرءُ قادرُ
 فان أعفُ عنه أغض جفنا على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى لىن له وتعطف
 لا ستلَّ منه الضغنَ حتى سلاته
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبى ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبىه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أكرم فقمته لىه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سببى قلت
 ان الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بازىادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه رقد المستعین وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن لمن الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته واذا صغرت عظمته واذا سترته تمتته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونفخه فمهما أتيت من معروف فانما أتيته لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تنذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تتسبح النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نغنيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فاتجعتك وأنا بأتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر منه وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأ بالبخل معقود
ان الكريم ليخفي عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرر الميون عليها أوجه سود
إذا تكهت أن تعطى القليل ولم	تفزع على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا ينفك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بث إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء

في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلى	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعهُ فيه البخیلُ
فما هذا المظالُّ فدتك نفسى	وباعك بالندى باعٌ طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً	يقلُّ لديك لي منهُ الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتئيلُ
وأطلق ماتهمُ به عساهُ	كفافي أيها الرجلُ النئيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت دارُ فالمرعَ بي الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُ	فما سدت على عزيمٍ سبيلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى
ولكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعانى فى عظم السؤالِ وموازنته للنوالِ بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابى على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظنتى فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما سألتك بوجهى فأقبله منك وأما ما ابتدأتنى
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا لى رأيت الذى
أخذت منى بمسألتى إياك بوجهى أكثر مما نالنى من عرفك وكبرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتنى أهله من انزال الحاجة بي الإقبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقبل له قد أقلت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنتَ بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الظم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكروا من أحبه فقال (نعم العبد إنّه أوّاب)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَعِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَتَيْمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَرِيمٍ) فذم قوله وفضله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذم الفعال ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهزاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صُحبة على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُرِيدِينَ كَمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وَهَلْ يُجْمَعُ السِّيفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمَدِ

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتنت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ ياشبيةَ أمَّ عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا

فمينك عينها إذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها^(٢) ولا أمَّ عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولا أمَّ عمرو غداً يُغفرنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبيع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركه ابا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّدْ^(٢) للعدى
من السرِّ ما يُطَوَّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لِيَالِيَ نَفْسُهُ
توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ
وفي النفس منه غيرةٌ ونحورها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودة
أفانيجُ حَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّةٌ
تظللُ لأصحابِ الشقاءِ تدبيرُها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائنُ
تبينُ ويبقى^(٤) هامها وقبورُها
فأجابه خالد :

لا يبعدين الله حلمك اذ غزا
وسافرَ والاحلامِ جمَّ عثورها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت
سواك خليلاً شامئاً تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها
فأول راض سنة من يسيرها
وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(٦)

(١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلح ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فات قبل وصوله بلييلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم زجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويتنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تصدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

ألم تتنقذها من ابنِ عويمر وأنتِ صقيُّ نفسه وسجيراها
فإن يك يشكوم من قريبِ مخانة^(١) فتلك الجوازي عَقبها ونُصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمره علائقتها
وخلاد سرها فجاء خالد ليلاً وعمره معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فقبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمره أبي الطيرِ المربة غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كلية وربى لن تعودى بمثله عشية لآفته المنية بالردم
فأنك لو أبصرتِ مصرعَ خالدٍ منعت^(٢) الستارَ بين أظلم فالحزم
علمت بأن البابَ ليست؟ ولا البكر لا ضمت يدك على غم
ضروب لهاماتِ الرجالِ بسيفه إذا التفت الأبطالُ مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل:

لحي الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العينُ نظرةً تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذولونينِ ليس بدائمٍ على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العينِ أما لقاؤه فحلوه وأما غيمه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا طابتك سلكت في ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقاؤه فيه منتفع وأشبه البر بالمعوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة:

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن في المودة شافعٌ إذ لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباغادواً إليك ورواحاً حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولخاني الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقته
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانهِ الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثاتِ إذا كفي
ومن أظف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولسكني
أسامحك ولأشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعذرُ
ولا ترى كلاماً أظف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الإلحاح فأثقل عليك ولا أقبل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :
 أمنماً إذا جئتم أستعيرُ فكيف إذا جئتُ أستوهبُ
 ومثلي إذا كان في معشرٍ فللعزُّ عندهم منكب
 يُقربُ مثلي إذا ما نأى ويكرمُ مثلي إذا يقرب
 عبتك للودِّ لا للقلبي وواصلُ صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
 فان صدّدتُ بوجهي كي أكافتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان
 وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلوا المذاقِ وفيكمُ مستعتبُ
 فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكمُ ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
 ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
 واعلمُ بأنّي لأمرُّ بحاجةٍ إلا وفي عمري بها مستمتع
 ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بقرته (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كشبُ
 ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجى حين نحتجب
 مادونَ بابك لي باب أودُّ به وما وراءك لي مشوى ومطلب
 وقوله في أبي سعيد :

لعورك لليأسُ غيرُ المريثِ خيرٌ من الطمع الكاذب
 وللريبُ تحصره بالنجاح خيرٌ من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « مراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطقٍ
وانَّ امرأً ضنتُ يداهُ على امرئٍ
أخذه من قول مسلم :

وأحبتُّ من حبها الباخلينَ
إذا سئلتُ عرفاً كسا وجهه
بغارٍ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لا ل وهبٍ أكفُّ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غيارى دُونَ مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى ببهجتهِ
. وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ استعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصر
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقفَ المذمور مني بمنزل
هي النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الزرّساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن نخ
وكفأكَ أندى في العطايا من الرز

(١) في ديوان مسلم المطبوع «نيا بآمن اللؤم حمراً وسوداً». (٢) في الديوان «آن يجوداً».

فلا يكن المبتدول للوم ^(١) سممه وقرطاسه ^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر ^٢ والحرف للفعل الجميل شكور
لكن رأيت بيب دارك جفوة ^٣ فيها لصفو صنعة تكدير
مابال دارك حين تدخل جنة ^٤ وبيب دارك منكر ^٥ ونكير
غيره : ^(٦) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذالم أجد يوماً إلى الآن سلماً وجدت ^٧ إلى ترك الحياء سبيلا
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأوّل :
وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت الملا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً ^(٨) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلتة تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول طارها
فلا تمكن المظل من ذمة الندى فبئس أخوالأيدى الكبار ^(٩) وجارها
فان الأيدى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادقاً ^(١٠) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عداة المرء ^(١١) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف ^(١٢) بالتسوية الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميثل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (الحياء) . (٣) في ديوان أبى تمام « جأشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً للملك بن طوق وقد حجبته :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حملاً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجر الفيجاه^(١) مقفلةً عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصحاح أبو القاسم^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته
 يطير من يدي لحنه ويلطف عن حسي لقلته وعهدى بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشفيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكمل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ وبجر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت ثابتة الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بأجن من الماء تجب ما تطيب مشاربه
 وكتبته - أبا عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الزاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصحاح بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد تقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عييك مالا يتصور لديك
 وكفالك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد:
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدراً ولا الشبل ليناً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً. والعرب تسمى الكبر تهاً وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولو لم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
 ورسمه لكان الماقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفحك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم، وقد قال الأول:

مبايلٌ من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض بنى هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى:

ولربِّ مولى لا يفضُّ جماعهُ طولُ العتابِ ولا عناءُ العذَلِّ

بطنى عليكِ وانتِ تلامُّ شعبهِ والسيفُ يأخذُ من بنانِ الصيقلِ

ضاقَ الزَّمانُ فضاقتَ فيه قلبي والماءُ يجمعُ نفسه في الجدولِ

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب:

فمن يلازم النازلونَ محلهُ ؟ فنزلكم للحمدِ والشكرِ منزلُ

رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدكم فقد يسألوكم فوقَ ما كان يسألُ

وقصر عن مسعاكم كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممن تقدّمَ أوّلُ

بلغتُ الذي قد كنتُ أملةُ لكم
 وملكَ حقُّ واجبٌ غيرُ أني
 فإني أنتمُ أنعمتمُ وبررتُمُ
 وإن كنتمُ أوليتموني تفضلاً
 وكم ملحفٍ قد نالَ منكم رغبةً
 وعودتموني قبل أن أسألَ الغنى
 وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تحسيسٌ^(١) النوالِ ومطله
 وكن نخلَةً تلوى وتسنى عطاءها
 وقال : يا شبيهَ البدرِ في الحسنِ وفي بُعدِ المثالِ
 جُدتُ فقد تنفجرُ الصخرةُ بالماءِ الزلالِ
 وله في المعانيب ما لا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تَمَّتْ وزارتهُ
 إن كنتُ أحسنتُ في وصفِ ما تُرَكَمُ
 وإن أكن قلتُ ما لا أستحقُّ به^(٢)
 إن المديحَ إذا ماسارَ مُنفرداً
 فقد يبرهُ بليغٌ في بلاغته
 أسهبتُ فيكم لكي أعلى فطاطني
 إن السلايمَ لا تبني أطاولها
 لكن ليصعدَ انجاداً تشرّفهُ
 وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكم
 لا تجتمعنَّ على العارِ والنارِ
 فأثروا في بالأحسانِ آثارا
 منكم ثواباً فردوه وما سارا
 من الثوابِ كسي من قاله طازا
 وقد يظنُّ سوى المختار مختارا
 تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
 يوماً ليهبطَ بانينهنَّ اغوارا
 حتى يمدَّ إليها^(٣) الناسُ أبصارا
 من حائقٍ ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت ما لا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١)
 نقلت في كفة الميزان فانكدرت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابني شمير^(٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى
 وما جاء مدح مثل مدحى فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مسنداً
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت توليني الحسنى وتكرمنى
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها
 أركب من المسك في أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فنها:
 سيدشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعلع
 وقد طرف البحترى في قوله يستبطن محمد بن العباس الكلابي:
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث - كما في جنى الجنيتين.

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لا تجملها ألفا
وقوله : عمرت أبا السحق مصلح العمر ولا زال مزهواً بأبائك^(١) الدهر
فأنت ندى نحيابها حيث لا ندى وقطره يرجى جوده حيث لا قطر
على أننى بعد الرضا متسخطاً ومستعجباً من خطة سهلها وعر
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها بأهل ولا عندي بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي الى غير مشتاق ولم ردتى بشر
وما باله أبى دخولى وقد رأى خروجى من أبوابه ويدي صفر

ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المرء وتقاضيته بترك التقاضى

وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا

وفي خلاف ذلك قول بعضهم : ثقى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك

يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

أنت أمضى من أن تحرك للجسد ولكن شراة الشعراء

وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى

وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة وللمنع خير من عطاء مكدر

ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وأما كى ليس

باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وأما كى ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى

الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت ما كولا فكن خيراً آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق

ومما جاء في ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعى التلى وسبب

(١) فى ديوان البحترى « بأيا ملك » .

السلوان وبعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلية
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بدأ فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب ممول فكيف من المكروه والاقتصاد في
المحود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التفاضى	وليس لديك غير المثل نقد
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مثل يمد
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفنى من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجدت بكر من المنع واف
وأنتمت منعك لى بالمجاب	مهلاً هديت ففى المنع كاف
كأنى سألتك حبّ القلوب	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما نرجوه منك فانتا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا نعتذر بالشغل عنا فانتا	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني» .

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إنى لأبئس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعمج :

لعمرك مارماحُ بني نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغليُّ إذا تنحَّحَ للقرى حكَّ استه وتَمَثَّلَ الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلي أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ نصحيح صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طمن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا اليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخرجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى

ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار

وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بينن خائفا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة

تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمري ولم يمت - وعمه عامر بن

مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا

عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .

فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من

الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخاكم ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم

ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو

أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً

لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعمه ملاعب الأسنه وأمه كبشة

بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحفاء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بنى عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كان لك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا حضر الناس للقضاء قال أنتما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه تواري عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضرآ . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت؟ فقال اعفى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحك . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فلقبهم الأعشى منحدرآ من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا تار عجاج الكسه التائر
ساد وأنى رهطه سادة وكبرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الفوغاء وجهد

علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :

أناى وعيد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولونبيت الأحوصا

(١) بياض فى الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغانى بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»

ساقطة من الأصل فاستدر كناها من بلوغ الأرب . (٣) فى الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك
 كلا أبايكم كان فرع دطامة
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
 يراقبن من جوع خلال مخافة
 رمى بك في أخراهم تركك الندى
 فعضَّ حدَّ يد الأرض ان كنت ساخطاً
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ
 لنحنُّ أغلظُّ أكبَاداً من الأبل
 وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ اللهُ دمعهُ
 وكان الحطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الحطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة
 لو أن مسعاة من جاريته أمم
 جارت قرماً ^(٢) أجاد الأحوصان به
 ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣)
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤)
 ولا يبيتُ على مال له قسم
 بدا واضح ذو غرةٍ وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الحطيئة مع علقمة بن ثلاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جارت فرعا) وفي ديوان الحطيئة :
 جارت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوصان : الأحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الأحوص ، كما في جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .
 (٣) في طبقات الجمحي وديوان الحطيئة (الإريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الحطيئة :

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على ألسنتهم وسقط شعر الحطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمى قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حدّاً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا
ولى الدنيا بمخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتر بهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت زهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حلّ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إبّاس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

- (١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعتر بهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة وكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباط الخليل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعمار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمهم خادمهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيولها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحر حان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألست كليبياً إذا سيم سوءة أقر كقرار الخليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل الكارم ضات
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقته لحكم على جميع

ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبين :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة الوتد^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها

وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم ترن مثقالا

وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الرأد عن كل منهل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله حادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الرأد عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حرجانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضی الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
قال أحياناً^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم مُخَذِ القعبَ واحلبَ أيها العبدُ واعجل
فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجأهم ولكن
سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال ان عدت قطمت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابله ومثل قوله :
* تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :

ورددتُ العتابَ عليك حتى سئمت وأخرُ الودَّ العتابُ
وهانَ عليك سخطى حينَ تغدوا بمرضٍ ليسَ يأكلهُ الكلابُ
ومن التناهى فى الاحتقار والحوول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلقوا
قومٌ من الحسبِ الزاكي بمنزلةٍ كالققع بالقاع لا أصلٌ ولا ورقٌ
انَّ الأشاقرَ قد حلوا بمنزلةٍ لو يرهبونَ بنعلٍ عندنا علقوا
لا يكثرُونَ وإن طالَّتْ حياتهم ولو تبولُ عليهم فأرةٌ غرقوا
وقول الآخر * لويحلو بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكادُ من رقةٍ ولؤمٍ يخفى على البارئِ القديمِ
وقول أبي الهيثم :

يا جعفرَ بن القاسمِ بن محمدٍ مالى أراك عن الندى معزولا
إني أقولُ مقالةً تجرى بها لو كنتَ من كرمِ أكننت قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يمھانى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيد الاعجم .

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابهُ ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب
وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :

فلو أنى بليتُ بهاشميَّ خولتهُ بنو عبد الداني

صبرتُ على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكارجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى زهرة وفينا زياد أبو صعصعه

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر اليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قولوا كلما زادوا

ولا يهولنك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبتُ من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كلَّ حيِّ فقال القائلون ومن ثماله

فقلتُ محمدُ بنُ يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أميس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فدقَّ عرضك دونه والمدحُ عنك كما علمت جليل

فأذهب نأت طليقُ عرضك إنه عرضُ عززت به وأنت ذليل

فجمله دور الاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقلته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن الحسن قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما نشأ وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجابك لئوم منجى الذباب حتمه مقاديره أن ينالا
وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أني
لست أجد خيراً منها في معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
الاكل جيد اللفظ بارع المعنى، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب.
وأنشد الجاحظ:

ووقت أنك لاتسبُّ حماك لئومك أن تسباً
وقال الآخر: بذلة والديك كسيت عراً وباللؤم اجترأت على الجواب
وقال غيره: دناءة عرضك حصن منيع ثقيلك اذا ساء منك الصنيع
فقل لعدوك ما تشتهي فأنت الرفيع المنيع الوضع
وقلت: لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
لاتفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيمياء مؤخر
وقال أبو نواس:

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
يقول قد أسرف في هجونا وإما زاد بذلك السرف
غالب لا تسعى لتبني العلا بلغت مجدداً بهجاني قفف
قد كنت مجهولاً ولكنني نوهت بالمجهول حتى عرف
فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم، وقوله:

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقيت من البظر المواسي
ومن قديم الهجاء لمن لا يقع في حياته وفي موته فجيعة قول بمضهم:
وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجم
وقال ابن الرومي:

فلا تخش من أسهمي قاصداً ولاتأمنن من العابر

ولكن وراك معراتها نضاؤلٌ قدرك في الخاطر
وقال غيره:

إني هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان له الهجاءُ مديحاً
وقلت: يا أبا القاسم هل أبصرت شهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبيهك الكلب فقد بالغ في مدحك
وقلت: أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أتيجو مثله في سُقوطه فقلت لهم جريتُ سيفي على كلب
وقال ابن الرومي:

خسأت كلباً مرّ بي مرّةً فقال مهلاً يا أخا خالد
حسبكم خزياً نبي آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك (١) لنفسه:

وعصبة لما توسّطتهم صارت (٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليسُ سروراً بهم لأنهم طارء على آدم
وقلت: قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا
أترى انني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخول قول زياد الأعجم:

إذا ماتني الله امرؤٌ وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم

وله جمعتُ جرمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء في الاستصغار ما رواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوي فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذي الرمة :

وأمثل أخلاقِ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها لملمة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشهودها
إذا امرئياتٌ حلن^(٣) بيلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دولٌ وأحراها بأنٌ تنتقلا
هلا جعلت لنا كحرمةٍ دعبل في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوي دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبتَ إلى بردٍ وأنت لغيره فهيك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحمد في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :
الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ ما بينَ ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلُّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبسني بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرٍ وبنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد)

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي (١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيـل الأمرُ مصنوعُ
إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلقٍ تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدروا أو يبخلوا لم يبخلوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أبقائها الشعرُ
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمرؤا
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثلهُ ولست بخيرٍ من أبيك وخالك
وإنَّ أحقَّ الناسِ ان لا تلومهُ على اللؤم من أنى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قتل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمرَ استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي . وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) في ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللزم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَسْأَلُنَّ أَبَا وَائِلِهِ
فَمَا سَأَلَ اللهُ عَبْدَهُ لَهُ نَحَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ يَاهِلِهِ
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ ياباهلي لأعولَ من قبح هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات
مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوك بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أنيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حار منه الشقا وحاستُ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعثك منه بلا شاهد مخافةً أدرك بالشاهدِ
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وليس يباقي ولا خالد
 فلو يستطيعُ لتقتيره تنفس من منخر واحد
 رضيتُ لتشتيت^(١) أمواله يدي وارثٍ ليس بالحمد

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
 أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

الى الله أشكو انى بتُّ طاهراً فجاء سلولى^٣ فبال على رجلى
 فقلتُ أقطعوها بآرك الله فيكمُ فانى كريمٌ غير مدخلها رحلى
 وقلت : وقتت لديكمُ للسلام عليكمُ وقوفى على أطلالِ سلمى وعاتكه
 يرومك تسليم العفاة كأنه بوادرُ طمنٍ فى الضلوع مواشكه
 وما فيكمُ حرٌّ بكرمٍ ضيفه ولكن إذا ماساء أكرم فائله
 وان كنتمُ ناساً وما أنتمُ به فان القروء والكلاب ملائكه

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت اليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليس بالحسن
 فلم أفر منهم إلا بما حملتُ رجلُ البعوضة من فخارة اللبن
 وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ماتعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أنقفلُ مطبخاً لا شيء فيه من الدنيا تخافُ عليه أكل
 فهذا المطبخ استوثقت منه فما بال الكنيفِ عليه قفلُ
 ولكن قد بخلت بكل شيء فحتى السلاح منك عليك بخل
 وأنشدنا : وإن له إطباخاً وخبراً وأنواع الفواكه والشراب
 ولكن دونه حبسٌ وضربٌ وأبوابٌ تطابقُ دون باب

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يدودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبَنَّ خيرَ زلٍّ عن يدهِ (١)
 وقال أبو تمام :
 صدَّقَ أليتهُ (٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكُ بخبزته
 قد كان يعجبني لو أنَّ غيرتهُ
 وقال آخر : يزْدَادُ لوماً على المديح كما
 وقلت : مُخبرُ الأميرِ عشيَّةً
 وإذا بدأ جليسه
 وتحوطه أحرأسه
 فالزورُ يُصنعُ عنده
 وقال آخر: قتي لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رَغيفه قلع الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا القتي بصون رغيماً
 هو في سفرتين من أدِم الطا
 مُختمت كلُّ سلة برصاص
 في جرابٍ في جوف تابوت موسى
 وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ
 ليتمُّ إذا جاءهُ طارقٌ
 كأمثالِ الملائكةِ الغضابِ
 فالكوكبُ النحاسُ يسقي الأرضَ أحياناً
 «لا والرغيفِ» فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمه ودمه
 على جرادقةٍ كانت على حرمه
 يزْدَادُ نبتُ الكلابِ بالمطر
 يَغْدُو عليه يلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كتابته
 والضيفُ ينتف شاربه
 واكليانٍ من درٍّ وشنر
 بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 وحربٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلُّ (٣) من سبيل
 بُف في سلتين في مندليل
 وسيورٍ قددن من جلد فيل
 والمفاتيحُ عند ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كلُّ ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في المقدم الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من المقدم .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يمنعهم ماءهُ
فما ولنغ الكلب في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعفاجِ بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافيرِ
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبيل
وأجرت لي جبلا طويلا تبعته ولم أدر أن اليأس في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلبي^(١) وقدر الرفاشين زهراء كالبدر
يبيئها للمعنى بفنائهم ثلاثا كنقط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جئتها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لا أخرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: يحصن زاده عن كل ضرس ويعمل ضرسه في كل زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى بيت لا برهة الأيادي
قليل المال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولادَهُ ويختمُ البرمةَ والجفنه
لم يروِ إلا خبراً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالفظنة
وقال آخر: ظاهتك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمة تزهرتها من أن تدنس بالدسم
بيضاء يُشرقُ نورها كالبدري في غسقِ الظلم

(١) الصلبي بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ المَدَّحَ في الأُمم
أو كانَ فملك مثلَ قو لك كنتَ تاريخَ الكرم
ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنَا لثذبَّ عنا ولكن خفتَ مرزومةَ الذباب
وقال أبو نواس يصف قدراً :

ينصُّ بِمَلقُومِ الجِرادَةِ صدرها وينضحُ ما فيها بعودِ خلال
وتغلي بذكرِ النارِ من غيرِ حرِّها وتنزلها عفوًّا بغيرِ جمال^(١)
هي القدرُ قدرُ الشيخِ بكرِ بنِ وائل ربيعَ اليتامى طام كلَّ هزال
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمي ويحتمى فلست ترى في بيته غيرِ جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجدتهُ يزيد به يبساً وان ظنَّ^(٢) يربط
وليس عجباً ذاك منه فأنه إذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجابِ عليه قفل وحراسُهُ وأبوابُهُ منيعه
رأوا في بيته يوماً رغيفاً فقالَ لضيفه هذا وديعه
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ كدونه حاجبٌ وحاجبٌ حاجبه محتجب
وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرضُ وجهك صخرةً في غيرِ منفعةٍ مؤونةَ حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بقله
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفت في مدحه
 حجابهُ أزمسنى منزلى
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعد فأذكرهُ
 ليس له ما خلا اسمه نسبهُ
 والخيرُ يأتيك من يدي عمر
 كأنه آدم أبو البشر

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخراصك فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتِ
 وقلت: إن كان شكلك غير متفق
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحات كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن حلال
 صورت من نطف قد اختلفت
 فكذا خلالك غير مؤتلفة
 فورئت من ذا قبح منظره
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خلالك وهي مختلفة
 فورئت ذلك خناه^(١) أو صلفه
 والدرُّ لا ترزى به الصدفة
 غيرتني أن رحت في سمل

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصفير * وقال ابن الرومي :
طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوبٌ
وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الثريفة
فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكراً بغض أبي إسحق والموت
ويدعى العلم على أنه قد طار بالجهل له الصوت
لا يلتقي والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراك والفوت

و كتب ابن العميد :

وليت شعري بأى حلى تصديت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
بالجزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
نوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :

وثقيل أشدّ من غصص الموات ومن زفرة العذاب الأليم
لوعصت ربّها الجحيم لما كان سواه عقوبةً للجحيم
وأبدع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان
ولقد قلت حين طل على القوم ^(٢) ثقيل أربي على ثهلان

(١) في الأصل « توجت » . (٢) في الأصل « ولقد قلت حين في الأرض » وفي

العقد الفريد « ولقد قلت إذ أظل على القوم » . وفيه « أباعران » بدل « أباسفان » .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال:

أنت فضلٌ وفضلُهُ وفضلُهُ الشيء لغوهُ
مُحِقراً الفضلُ ثم صَغُرَتْ عَنْهُ
ثم عَرَجَتْ فَاحْتَوَاكَ انْتِقاصُ
ثم بردتْ فَانْتَصَفَتْ مِنَ النَّاسِ
فَقَبُولُ النُّفُوسِ إِيَّاكَ عِنْدِي
إِنَّ قَوْمًا أَصْبَحَتْ تَنْفِقُ فِيهِمْ
أَوْ نَاسٌ غَدَاوَا وَرَاحُوا مِنَ الظَّرِّ
فَمَتَى ظَفَرُوا بِزُورٍ ظَرِيفٍ
كَأَلْغَارِيبٍ لَمْ يَرَوْا دَرَمَكَ البِسرِ^١ فَهَمَّ يَعْظُمُونَ خَيْرَ الشَّعِيرِ
وَكَذَلِكَ القَوْمُ لَمْ يَرَوْا لِحَةَ البَحْرِ^٢ فَهَمَّ يَكْبُرُونَ مَاءَ الغَدِيرِ
يَاقْتِيلًا عَلَى القُلُوبِ خَفِيفًا
فِي المَوَازِينِ دُونَ وَزَنِ النَّقِيرِ
طَرِ سَخِيفًا وَقَعَ مَقِينًا فَطُورًا
كَسْفَاةً وَتَارَةً كَثِيرِ
وَلَهُ: وَثَقِيلٌ سَبْحَانُهُ مِنْ ثَقِيلٍ
وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مِثْلٍ وَنَدُّ
حَمَلِ اللَّهِ أَرْضَهُ تَقْلِيلًا وَعِلَاهَا بِثَالِثٍ مِنْ أَدُّ

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء^(٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه في كلمة:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضله^(٣) وأنت جرادٌ ليس يبقَى ولا يَدْرُ
له أثرٌ في المكرماتِ يسرُّنا وأنت تعفى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وأن جهدتَ ببالغ^(١) سعيَ ابنِ عمك في الندى داود^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّمُ ليس كالحمود
 داودُ محمودٌ وأنتَ مُذمَّمٌ عجباً لذلكَ وأنتما من عود
 ولربَّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لثيم
 فاذا الكريمُ من اللثيمِ أو اللثيمُ من الكريمِ
 سبحانَ ربِّ قادرٍ قدرَ البريةِ من أديم
 فشر يفهم ووضيعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اخترتَ حميدهم ألفيته مثلُ الذمِّيم
 لا (نفعَ فيه)^(٥) للصفيرِ من الأمورِ ولا العظيم
 أنظر إلى كبرِ الجسوم ولا تسلِّ رفعَ الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
 أنهجوه ولست له بكفء فشر كما خبير كما الفداءُ

-
- (١) في الأغاني (بمدرک) . (٢) في الأغاني (ذي الملا داود) .
 (٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .
 (٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .
 (٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقار بها وزنًا ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد بلد الحرّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبنيّ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثُ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخبرنا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئسَ الخليقانِ المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنحك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 نلقى بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردىء والجيد النزاع ، وأما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قاتله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراه لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بفضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حينئذ إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليس مكانى في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أولَ منزل غنيتُ بخفضٍ في ذراه ولين
 وروض رطاهُ بالأصائلِ ناظري وغصنُ ثناهُ بالعداةِ يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَتَتْ بِنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدَوْنِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أُرْعَ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِأَمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وسند كرم هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى (١). ومما لا تنكاد
 تجد أجود منه في معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال دخل بعض الشعراء
 على بعض الأمراء ببرقيده (٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه
 ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أَدْبٌ لِعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرَقِيمِدُ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ (٣) مَا يَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ (٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَامُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ بِصَطِّكَ الْحَدِيدُ

وقلت في المعنى الذي تقدم :

قَلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَغَنَاهُ كَعْدَمُهُ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقُرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللُّؤْمِ حَدَّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

وقلت : قرانا بقولاً إذ أنحننا بيبابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
 وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر (٥) قائم

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائز وان جازٌ في فقه^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^٢ تعاورُ ضيفٌ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوي على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
 وأطمعنا لما مرقتنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوِّرةً سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيش قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيشة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عني لست بي أخبر مني
 أنا إنسانٌ برأى الله في صورةِ جنى
 بل أنا الاسمُجُ في العيسن فدع عنك التظني
 أنا لا أسلم من نفسي من يسلم مني

وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :
 وأخوس^(٥) ولاجٌ عليٌّ ورائحٌ^٦ رجاءَ نوال لو أعين^(٦) بوجود
 زَوَيْتُ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)
 فان كنتَ لآعن سوء فملك مقلماً فدونك فاستظهر بنعل حديد
 فعندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد
 ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومي :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرِّ منتظر ياشرِّ منتظر

(١) في الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيايساى .

(٢) في الأصل (فرقتنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بانحاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لويغان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فان تصبر فمن قحة
على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تالمه
شبيهه عضُّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرماً لتعلم أن
لم تترك شيئاً منه ولم تدر
وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجه البرقعيدى ظلمة
وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونومي فيه نوم مشرد^١
كعقل ابن هرون ورقه دينه^(١)
على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه
أبوجابر في خطبه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعوا عبداً وأزماً

أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عمرو بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بدمهم
خيلاً تكبر عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه
من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره
يحول أويهور من صفره
لو صاح في الليل به صائح^٣
لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه
فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبدالله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضر به
شوق إلى وجه سيدته
لا يعرف القرن وجهه ويرى
قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي الغمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً كفل لي بالانصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهليل
لما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوي الغلاميلاً إلى ميل
الله خلصني منهم و؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ لهُ حادَّ الظلومُ ظليماً ههُ الهربُ
أني الفرارُ وتركِ الحربِ إذ كشفت عنك الهويتنا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلمُ فرعونُ العذابِ وان تطلبُ نداءه فكالبُ دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفرِجةٌ ينفرُ من ظلِّ الشجرِ فؤادُهُ أنثى وضرُّه ذكر
والنَّفْرِجةُ الجبان . ومن جيد ما قيل في النذير قول بعضهم :

الكوكبُ الذنبيُّ يخبرُ بالعجائبِ بعد سبعة

خلعوا عليه وجملوا ه وصار في عزٍّ ومنعه

وكذاكُ يُفعلُ بالجدو ر لنجرها في يومِ جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقطلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
 جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
 وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلمى وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجنبي ويرقدُها وقد كشفَ الغطاء
 ويأخذني ويطرُحني عليها ويرقدُها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمةً سحاً علينا فيغسلنا ولا يلقى عناء
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لخاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألني بعض الأديب من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً؟ قلت الذي يقول:
 أتبه على إنس البلاد وجنّسها ولو لم أجد خلقاً لتبته على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فان صدقوا أني من الانس مثلهم فما في عيب غير أني من الانس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
 النظافة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .

ومن بليغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحد
 من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :

وعندهم مُذنبٌ مُذنبٌ أحمد من محسن مدلّ

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلا فك لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيتيه وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خلة العدم^(١)

فهي تستهلك الجميل وتأتي على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداء هتان على الجزاء أمين غير خوان

أظني الفصوص ولم نظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنابك من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً وبهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فانت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من سراجك فرداً واقتصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكنُ فقدك الضياء رديناً فاقصادي للزر أردى وأزدي
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ما جئتَ أحمدَ مستبيحاً فلا يفرركَ من ظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كسبارقةٍ تروق ولا تريق

ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبَّعٍ بأُمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفتُ بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسِ بأبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودَّعتهُ السرُّ فالفيتهُ أُمٌّ من كأسٍ على راح
وقال السريُّ :

تثنى عنك فاستشعرت هجراً خلالاً فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سراً أُمٌّ من النسيم على الرياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهد الذي عهدتُ إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذة الخطيئة فقال :

أغر بالاً إذا استودعت سراً وكانوا على المتحدِّثينا

والكانون: الرجل الثقيل، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بأبائك» .

وقدمر فيا تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتَ عَلَيَّ مَدْحِي بِمَدَمَطْلٍ وَقَدْ دَنَسْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولاسيا وقد اعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجه ضمان البشر فيه موقفٌ على النجح والحاجات تُتري عجالها

به من صفيح الهند وشم تبينه صفيحةٌ وضح يروق جمالها

متى ربدتها عزةٌ أو حفيظةٌ أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوماً عليها دليلها تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدعٌ كمرضة له قصةٌ غير الذي هو يظهر

ينخر عنه أنه أثر ضربة ببعض سيوف الزنج حين ينخر

وماضربته الزنج في الوجه بل رأى أبورهم فانشق في وجهه حرٌ

في آيات سخيفة فطلبه ابن المدير أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقَّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَمَّلٌ لَكَ طَلْقٌ

فاعفُ عن عبدك المسيء ولا تبطل بما يستحوُّ ما تستحقُّ

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نمائك عندي التي أقرُّ بها انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذمُّ لائقٌ بك ما أشبهَ خطم الخنزير بالقدر

أبديت في أوليات لؤمك ما قدرت في أخرياتهِ الآخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعبت). .

كالفطران الذي يرى أبدأً في رأسه ماقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن يجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوان الشبابِ حاجلى الشيبِ سببٌ وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفع البردُ ضيف عمرٍ وفأضحى مثل من فيه ياأخي زمانه
بات للبرد في طهارةٍ سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرَّ ولمولاهُ ذلَّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في بيته أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً نجمانى برغيف زادنى أكله على الجوع جوحا
ثم ولى يقولُ وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيحا
كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوعُ خديما
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضعيا
عجباً منه إذ أتبح هجاءُ كيف لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها فى الأخلاق)

قال الأوَّل فى ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومى سميك لايزيدُ ولانزيد
يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهاً فى الولادة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود
ومثله : علىٌ وعبدُ اللهِ بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله بلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىٌ على البخل
ومثله : فان يك مجرانا إلى جمع نسبة فى رأى والأخلاق مختلفان
ومأنت مثلى فى مقام أقومه لدى البأس إلا أننا أحوان

آخر: لئن وصلتُ أئبوتنا انتساباً لقد قطعتُ مرارتنا العقولُ
 أبوكَ أبي وأنتَ أخى وليكنَ تباينتُ الطبائِمُ والشكولُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكثفُ بالله يوماً ما أهلك بيت
 من الشعر وأفجر قائلُ أنعرفونه؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبي نواس:
 ألا فاسقنى خراً وقل لى هى الخبرُ ولا تسقنى سرّاً إذا أمكن الجهرُ
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خراً، وليكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهلك من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:

أتبعْتُ سُكراً بسكرٍ وابتعتُ خمرأً بقمرٍ

فقال هذا لعمري أهلك من ذلك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماؤهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يجفيا.

خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا إليه وهو كالرُحِ خاطباً^(٣) فشدَّ على أكبَادنا بالعمائم
 ومالى من ذنبٍ إليه عدته سوى أنى قد جئته غير صائم
 فلولا يدُ الفأروق عندى رميته بقافيةٍ يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فردناها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتييس طاعماً ».

فليتك من جرّم بن زيانَ أُوْبى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم غداً جائعاً غرثان ليس بناءم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلمَّ به أعنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفانُ طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفانا
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاهُ على خبزك مكتوبٌ سيكفيكم اللهُ
 وقال بشار (١) :

وضيفٌ عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفٌ للجوع
 آخر: نوالك دونهُ خرطُ القِتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام حرمتَ المنامَ إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكنى هجوتك للتكساد
 وقال آخر: رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ لبخله ونصيفه ضيفاً فقامَ بوائبه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبدهُ وصحف الصيف ضيفاً فقامَ بلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم - فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ماشقٌ يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريراً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إنَّ رفاك هذا أطف^(١) الأمة كما
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطمن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبداع ظرفاً
 مزجه العذب بماء الـبـير كى يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :

على خبز إسماعيل واقية البخل	فقد حلَّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزُهُ إلا كمنقاه مفرَّب	تصوَّر في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية	سوى صورة ما ان تمر ولا تحلى
وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه	ولم يراوى في الحزون وفي السهل ^(٥)
وما خبزه الا كليب بن وائل	ليالى يحمى ^(٦) عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستبُ خصان عنده	والالصوت مرفوعٌ بجدٍ ولا هزل
فان خبزُ إسماعيل حلَّ به الذى	أصاب كليلاً لم يكن ذلك عن ذلِّ
ولكن قضاءً ليس يسطاع رده	بجيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل

وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستبُ خصان عنده * على قول مهلهل
 * واستبَّ بعدك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومى :

- (١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجرّدق: الرغيف . (٣) في الديوان (مفرز أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « فى حزون ولا سهل » . (٦) فى الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من ننتها ثومةٌ لكنها في اللونِ أترجَه
 تفاوتتْ خلقتها فاعتدتْ لكلِّ من عطل محتجَه (١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرنخةٌ شيبتْ بلبنجه
 خراجةٌ للفسقِ دخالةٌ تعجبها الدخلةُ والخرجه
 كأنما فقحتها فحمةٌ فت عليها طابث ثلجَه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجَه *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيتْ نعي تسربلتها كم حجبةٌ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتْ فإذا اعتضتْ قلتُ لهم خرقَ النعالِ وإخلاقِ السراويل (٢)
 ذاك الأمير الذي طالتْ علاوتهُ كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والفتا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهموم على بثق *

وقلت : سوداء يذرفُ دمعها مثلَ الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبحها سلحُ العليلِ على الخرفِ

وقال أبو تمام :

فأشهدُ (٣) ماجسرتَ عليَّ إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعه
 ووجهك إذ رضيتْ به نديما فأنتَ نسيحٌ وحدك في القناه
 ولو بدلتُهُ وجهاً إذا لم أصلٌ به نهراً في جماعه

ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوقِ راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعيت له من جانب السوقِ مخرطة توهمت أن السوقِ منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجَه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقدر به أنفأ وأقدر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعزيبك في البيت يطوفُ

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلي خفافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلي دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلي لأفقر مني انى لفقير

فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فيها بالقلب، والصرارة: الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقا تل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبخر قول ابن الرومي:

تحسبُ مزكوما وان لم تزككم من سدة في أنفك المورم
محسرج الصدر بر طلى بلغم إن لم تنزع مرة تنخم
نخامة كالضفدع الموشم دكناء رقطاء بقيق أودم
ممتخطاً بالكوع أو بالمصم تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكهة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملاء أرحم ترحم

وقال جحظة^(١) في البخر:

تنفس في وجهي فكدت أموتُ وأعرض عني جانباً فحييتُ
ونسى؟ حتى حسبتُ بأنني وربكما يا صاحبي خريتُ
وقال بعضهم في سرعة الكلام:

كأن نبي را الان إذ جاء جمعهم فراريجُ يلقي بينهن سويقُ

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة.

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فدوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ
كانها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمردينتف :

وَخَدُهُ مُشَوِّكٌ مَزْوَرٌ التلويز
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مُشْتَرِقِ الْأَفْرِيزِ^(١)
وَقَلْتُ : لَعِبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّرٌ مُتَعَصِّفٌ
وَكَأَنَّما صَدَّغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ
كَأَنَّهُ فَرِيضَةٌ كَثِيرَةُ الشُّونِيزِ
تَحْسِبُهُ إِذَا بَدَأَ سِجَاةَ النُّورِوزِ
لَعِبَ الصَّبَا بِالرَّبِّعِ حَتَّى أَقْفَرَا
يَنْتَابُهُ^(٢) الْحَدَثَانِ حَتَّى أَنْكَرَا
ثُمَّ اغْتَدَى مُتَصَنِّدَلًا مُتَزَعْفَرَا
جَعَلَانَ يَنْتَابَانِ سِلْحًا أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَعْبَةُ النَّبِكَ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ
فَتَبَيْتُ بَيْنَ مَقَابِلٍ وَمَدَائِرِ
كَأَجِيرِي الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .
فَتَلَقَّ مِنِّي^(٣) حَيْثُ شَدَّتْ وَكَبُرَ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدِيرِ^(٤)
مُتَنَازِعِينَ فِي فَلَيجِ صُنُوبِرِ

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ
لَهَا بِظُورٍ فِي اسْتِهَا مَجْمَعَهُ
وَأَمْرَاةٌ قَاعِدَةٌ مَرْبَعَةٌ
كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مَقْقَعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَأْتُ بَابَ النَّجَاحِ إِذْ تَعَاطَيْتَهُ^(٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّبَاحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان بن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فقطع الحبَّ بالخصيِّ كما يفضعُ فقد المردى بالملاح
 ليتَ شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسيرَ النجاح
 أبوجه كأنه وجهُ قردٍ حائل اللونِ جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كوزيم الذُّباب في اللقاح
 إنما أنتمُ فقاحٌ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأفرح
 إنَّ من يعشق النساء بلا أبيض كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكونَ الطعانُ إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرِّماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سبالة بعد أن أطاله:

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعدبت صجبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد اللهُ ذاك السبال فقد كان سترًا على مستراح

وقال ابن السكن:

رجلٌ يعقُّ الكأس كلَّ عشية ويعاقب المسواك كلَّ صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصفه
 لعنَ اللهُ ليلةً بتُّ فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدتُ فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرِّيق إذا قبلتُ صمفت التقبيل تقبيلًا

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلودِ عرارة يحسنُ للبخراءِ تقيلاً
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كَلَّتْ بِالْبُظْرِ تَكْيِلاً
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البُظْرِ تفضيلاً
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أطارَتْ بظرها الفيلاً
 غول بيت الشرب من قبها يرونَ في النومِ التهاويلاً
 ما أحسنَ الأرقمَ طوقاً لها وأحسنَ الأسودِ كليلاً
 قد عَذَّبَ اللهُ امرأً نالها طورَينِ تعجِلاً وتأجيلاً
 لها ضراطٌ ريمهُ عاصفٌ يطفيءُ في الليلِ القناديلاً
 حلت سراويلي على واسع ماخنته إلا سراويلاً
 أحلت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيلِ تنكيلاً
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطانِ تبديلاً
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيلِ تذيلاً

وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو وجودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحيَةً كأنك منها قاعدٌ في جوالقي
 وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحيَةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيّة قاضي القضاة لوجهت مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد السكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رتبة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيته هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للمدلّ بلحية موفورة وسما ولحية كلّ الحى جبهه
 لا يعجبك طول نبتك إنّه من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيّة عليك وتعرض	فالحالى معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلّا	ة ولكنها بغير شمير
لو غدا حكما على لطارت	في مهبّ الرياح كلّ مطير
ارع منها موسى فانك منها	شهد الله في أنام كبير
أيما كوسج رآها فيلقى	رّبّه بعدها صحيح الضمير
هو أحرى بأن يشكّ ويفرى	باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قطّ إلا	جور الله أيما تجوير
لحيّة أهملت فطالت وفاضت	فاليها تشير كف المشير
مارأتها عين امرئ مارأتها	قطّ إلا أهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها	من رأى وجه منكر ونكير
فأتق الله ذا الجلال وغير	منكرّا منك ممكن التغيير
أوقفصر منا فحسبك منها	قيد شبر علامة التذكير
لو رآها النبي يوماً لأن	في لحي الناس سنة التقصير
واستحبّ الأحقاء فيهنّ والخلق	مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بيضةٌ البعض من البعض
 مضى الى السوق وعثنونه أقام في البيت فلم يمض
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يملأها بالطول والعرض
 يدوسها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجواز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إنى سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لينة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
 وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طولُهُ شطرٌ طولها
 فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تترك التشنيع المفظوظ من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريير والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
 كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالى في الامالى لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جمل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^١ لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
وقال غيره: ألا يا بندق الشطرنج في القيمة والقامه
وقال آخر: يعثر الناس في الطريق من دمامته؟
وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام^٢
وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
وقال: وعازب الرأي ضعيف مفرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضحى إذا قاموا حسبتهم^٣ قعودا
وفي غير هذا المعنى قول الآخر:
إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم
وقال ابن الرومي في القبح والسواد:
وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر
وقال ابن طباطبا في مجدور:

ذو جُدري^٤ وجهه يحكيه جلد السمكه
أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
أو حلق الدرع إذا أبصرتها^٥ مشتبهه
أ. سفر محبب أو كرش^٦ منفركة
أو منخل^٧ أو عرض^٨ رقعته^٩ منهته^{١٠} كه
أو حجر الجما^{١١} كم من وسخ قد دلكه
أو كور زنبور إذا فرخ^{١٢} فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبه
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
بيغضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جدري ما شأنها وهي شين كل أثر في ذلك الوجه نقش
بدلت من ضفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمره مخبره ومنظره
شمره تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابة عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعماتين حراوين فامتحنهما

فوجدهما من الأدب خالين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيت يباب الدار أسودين دوى عماتين حمر أو بين

كجمرتين فوق فحمتين قد غادر الروض قبر العين

جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين

يا قبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين

ما أنما إلا غرابا بين طيرا فقد وقعتا

ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين

وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين

ستمطيان في مدى عامين صكا بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم (١) بما سادته وساءه كرتك الخاسرة .
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهرة .
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذنت بالآخره .
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحى أسد القاهره .
 أبارك المكره من مثله فاقرة نجتك من فاقره .
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمته (٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبي تمام مخلد الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأى غادته من المنى وقطان من الكمر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحره وأومد (٣)
 ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أنفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عن رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روجي ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر قتلنا له مصعب جراك على السبع
 وحرّك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصنع
 فقتت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختلّ الدين

مارآه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت: قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
وكلمنا انخفضت فيه مرزومة
لا تجد عنه بأبواب مصبغة
وقال ابن الرومي:

وإذا غنت ترى في حلقها
وقال الناجم: وقنية شتمها قنوت
مفقودة الكل غير بطن
وقال غيره: كأن أبا الحسين اذا تغنى
يلوك لسانه طوراً وطوراً
وقال المصيصي: وتحسب الندمان في حلقه
ماعجبي منه ولكنني
وقلت في عواد: يقول لنا غير ما يضرب
ككيسان يكتب غير الذي
فيكتب غير الذي قاله
فصمتاً إذا شئت اطرابنا
ولا ماسي؟ إذا جئتي
وقلت: تغنى لنا فجعلنا عليه
جعلنا اللطام له الحمة

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي:

قالوا تغير عن ملاحظته
يازهرة ومحاسناً مسخت
قد كانت الأبصار تجرحه
قلت الزمان يريك العبرا
ماذا لحاه الشعر لو شعرا
واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

فَلَا تَحِينَ حِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لِحْيَةً
ذهبت بملحك ملء كف القبايض

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه الر

حن عما خلقت

تب وخف الله على

هل لك عنده

بالحية ان سُئلت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة

كأننى مشطُ ابن منصور

بأصبع منه وأظفور

وتارة من قشر بلور

وتارة في لون كافور

حكاية زور من الزور

إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدوشواربهم

ياويجهم من لحي جدت مناقشهم

قد آتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبه وهجنة فعليك به

إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل في فريما

استنير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

والحمد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل الشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجرده حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختمَ ^(١) جأثما متحيزاً ^(٢) بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى الحيسةَ بالعبيرِ مقرمد
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزورَ بالرشاءِ المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريظ فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكلم على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يمتدح مما عرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيّةً وليس وراءَ الله للمرءَ مذهبُ
لئن كنتُ قد بلغتَ عنى خيانهُ لمبلسك الواشي أغشُ وأكذبُ
ولست بمستبق أخاً لائمهُ على شعثِ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِه أنا أنى ودوني راكسٍ ^(٣) فالضواجع

(١) في الاصل «أجتم» . (٢) في الاصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُّ كَأَنِّي ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقش في أنيابها السَّمُّ نافعٌ
أتاني أبيتَ اللعنَ انك لمتنى وتلك التي تستك منها المسامعُ
إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضفن عنى مكذبٌ ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولهُ
ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولهُ فانك كالليل الذي هو مدركي
وقال : أنبتت أن أبا قابوس أو عدني مهلاً فداءً لك الأقوم كلهم
لا تقذفنني بركن لا كفاء له ما قلت من سيء مما أتيت به
ها إن ذي عذرة إلاتكن نفعت إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي
فإن صاحبها قد تاه في البلد (٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها
وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليلى نحيبها * واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها * لوت بالسلام بناً خضيباً * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كالأنافى ،
والرشد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النسكد) .

ونائبة أوشكت أن تنوبا
 فلقيتني^(١) بعد بشرٍ قطوبا
 وأكبر قدرك أن أستربيا
 سبيل اغترار فالتمى شعوبا
 وما كنت أعهد ظني كذوبا
 أذمُّ الزمان وأشكو الخطوبا
 طرقاً ومرعاً محلاً جديبا
 أفاض الدهموع وأشجى القلوبا
 تخالجنى الشكُّ في أن أتوبا
 إما بعيداً وإما قريبا
 وأنظرُ عطفك حتى يشوبا
 ولقيني نحساً من الطير أشامبا
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مُظالما
 بقية عتب شارفت أن تصرماً
 تلبث في أعقابها وتلوماً
 كليلاً وإن راجعته القول جمجما
 وأوهه الواشون حتى توها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجها
 ومنتمم منى امرؤً كان منعا
 يرى الحمد غنماً والملاحه مغرما
 ولا خوف إلا أن تجور وتظالما

فديناك من أي خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حال في
 يريني الشيء تآنى به
 واكره أن أتمادى على
 أكذب نفسي بأن قد جنيت^(٢)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أيصبح وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنت أعرف ذنباً لما
 سأصبر حتى ألقى رضاك
 أراقب رأيك حتى يصح
 وقوله : عذيري من الايام رنقن مشربي
 واكسبني سخط امرىء بت موهناً
 تبلج عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوز حدّها
 وأصيد إن نازعته الطرف^(٣) رده
 ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوعرت
 أمتخذ عندى الاساءة محسن
 ومكتسب في الملامه ماجد
 يخوفنى من سوء رأيك معشر

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحترى (أكذب ظني بأن قد سخطت).

(٣) في ديوان البحترى (نازعته اللحظ).

أعيذك أن أخشاك من غير حادث
 ألسنت الموالي فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما تسخط هل ترى
 رأيت العراق ناكرتنى وأقسمت
 وكان رجائي أن أووب مملكا
 حيناء فلم يذهب بي الغنى مذهبا
 ولم اعرف الذنب الذي سؤتنى له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال إعادةً
 وان صنع المعروف زاد وتما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتي
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في الثنصل مما فرط
 ففضل على بالقبول لئلا يلحقني هجنتان هجنتان تذلني لك وأخرى ردك لي . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر على العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عن أرقدمه وأقوى سبب أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن ابراهيم الندي قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا اني لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يوجد وليس صدق العذر عندي بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن
ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هزرتك لأنى ظننتك ناسياً لوعدي ولا أنى أردتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتى فبسوءِ فعلى وما ظلمت عقوبةً مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكر جديدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل جملك وتمتع بأحبتك وأعطاك مأمولك
في نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمج عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش في ضمان الفرح ويوئح حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الغنيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش و يجدد حب المساعدة والائتلاف و كراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمتك فيه ويكون جلاءً لناظرِك وشجعناً لناطرك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أي مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعاماً
ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحبان أقيت المصا ومات الهوى لما أصيت مقاتله
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقائها فم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعودَ اليها القلبُ مُشتاقا

وقد أحسن ابن الرومي ولأعرف في معناه أبلغ منه :

أطاعتها والنفسُ بعدَ مَشَوَقَةٍ اليها وهلْ بعدَ العناقِ تدانى

والثمَّ فاها كي تموتَ حزازي فيشتدُّ ما ألقى من الهيجان

وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفتُ الشفتان

فإنَّ فؤادي ليس يشفي ريسه سوى أن ترى الروحان تمزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتَ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ

وقبَّلَ الريحَ من صبابته ما قبَّلَ الريحَ قبله أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟

قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن

الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا أظلك أو كان تحتك لا أقلك ، أخذه بشار فقال :

إني لا أكرم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها

ويبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لا قلها

وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفردَ بالتمام فلا تمامُ

فلو ألقىته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التثامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سالة نورٍ ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدر كناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامه بأذنى وان غُيبتُ قرطاً معلقا

ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتَ يامن لحاني في مودِّته ماصورة البدر الأدون صورته

ياربُّ ان لم يكن في وصله طمعه ولم يكن فرج من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خدَّيه بلحيتيه

ومن الظريف قول كشاجم :

كانَّ الشفاه اللعس منها خواتم من التبرِ مختوم بهنَّ على الدرِّ

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس يزين (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لرتع لم ترتع بأذنى المراتع

كانَّ لديها سائفاً يستحذها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينسأكم ان حلَّ أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشداه المبرد :

وعدو قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدتها ذكر

وقلت له ولقاءً ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الأحرار أعناق الأبل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الأصل « يزن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألفز :

إنَّ لها لسائغاً خَدَجاً لم يُدَلِّج اللَّيْلَةَ فيمن أدلجا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتل شوقها زيارتي كلنا يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذکر على البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى الله صحبته^١ انى وان كنت لالقاءه ألقاه
الله يعلم انى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينسائه
وقلت : ذكرتهم والنوى بينى وبينهم^٢ ذكرى الشباب الذى قد كان عاصانى
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه^٣ هل يعرض الذکر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره وينام عن ليلى وأسهره^٤
وبجوره ماضار مورقه حظى وحظ سواى مشره^٥
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره^٦
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفره^٧
فأصيح فى نفس أصدده وأعوم فى دمع أجده^٨

ومن مליح ذلك قول بشار :

ولست بناس من يكون كلامه بأذنى وان غبت قرطاً معلماً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرى القيس :

سموت اليها بدم ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمى^(١) :

واسقط علينا كسقوط الندى ليللة لانه ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بوجهه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالت ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ طاد به قلتُ فسيفي مُرهفٌ باتر
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهر
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافر
قالتُ فأما كنتَ أعينتنا فأت إذا ما هجمَ السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لانهٍ ولا زاجر

ومن مליح ماجاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرفني رسلاً والليل كالطيلسانٍ مُعتكرٌ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمر
هل لك في غادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصر
فقلتُ أسعى الى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلتُ لما بدا تخفها جودي ولا يمنعك الخفر
قالتُ توقرو ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهر
والله لانت ما تطالب أو يثبت في بطن راحتي شَعْر
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ علي مؤتمر
قلتُ ولكن ضيفٌ أتاك به تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسبي الأجرَ في إلتنه وباشري قد تناول العسر
قالتُ فقد جئتُ بتبغني عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيتها خرجت وغشيتها الهموم والفكر
لا قاب لله في الصبا أبداً أنثي ولكن بما قب الذكر
قالت لقد جئنا بمتدع وقد أتنا بغيره التذر
قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبى لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء^(١) أفعالها
وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
دائمة الأعراض عنى فما يخطر لي ذكره على بالها
صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني باجلالها
تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
لم أطعم العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نار خلالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبس خلالا كذب أسماء الخلال

يقول لا تخلخل الخلال في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبه أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبيح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَ الشمسَ نيطَ بها قمرٌ يمناهُ والقدرُ
صدَّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأحبابِ إذ مزحوا
وهو لا يدرى لنخوتهِ أننا في النومِ نصطح
ثمَّ لا أنسى مقاتله « أطفيلٌ ويقترح »

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودهُ وما ضرَّني بخلُّ فكيف أجودُ
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مضميرِ القلبِ والحشا سريرةٌ وودٌّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرَّجتُ غداةَ النحرِ أترض الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدرى أحسنًا رزقته أم الحبُّ يعمى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي صلى الله عليه وآله « حُبُّكَ الشَّيْءُ يَعْمَى وَيَعْمَى ^(١) » وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألتُ جاريتها وتعرَّتْ يومَ حرٍّ تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملتهُ من أجاهاً وقديماً كان في الناسِ الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الخجون وناقتي لها بين قاع الأخشبين حنينُ
غموساً لقد فصلت في الحسد بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ لله في عيني وفي كلِّ العيون
قينه بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قولٍ حقٍّ و يقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا من يلوّم عليه أنظر بعيني إليه
فلمست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيط ليله ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدت كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كان المنى بلفائها فلقيتها وهوت من هو امرئ مكدوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدونها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) المدو لها فغير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٤) خدودهن نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنما

تبالهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لتيمن يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنن الحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تبيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبها منه قليلا فقد أخطاها شبه كثير

لأن الشمس تقرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالى (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .

(٣) فى الامالى « بصرم عزة » . (٤) فى الامالى (جعل المليك) .

(٥) فى الامالى (موقف) . (٦) فى الأغانى « أشرفت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في الحاق وحسنا
وقال العباس بن الأحنف :

قلت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عينٌ مُكحلةٌ
وقال النظام : يامشرقاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدر طالعا
وحسبك من عيب لها شبه البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

فذكر أن حسنه يزيد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وانأت عنك غاب اللهو والفرح
كلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلُّ ما تنفخى فهو مقترح
والمعارضة تمخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلاد
يعاد حديثها فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيء المعاد

وقال الخالي :

إذا كنت لم أفقد الغائبين
تباعد نفس إذا ما بعدت
وان غبت كنت فريداً وحيداً
فليس تماود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ مُحسناً فما أتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبيد عن الأعمى قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخلد بين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ يعنى يمالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أعيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الریحانِ ريان أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ في نفسه فما جعلت بطوع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسنُ من أزراره قمر

وقال ابن الرومي : متعات وجهك في بديهتها جددٌ وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة منقطة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جددٌ حسن شئٍ من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شئ إلا وفيه أحسنه فالعينُ منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

ان اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيّم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبسمي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الغزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمعني وإياهم ربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مياً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زردار عليها مياً فقات اي والله إن عندي
للجؤذر قال عليّ بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف فعرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت أمي وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا أمي جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
وإذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
نُشدهن يا عصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظمان مَيِّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ أَوْ أُنْثَى تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ^(٣)
فَأَوْشَكَتِ الْعَيْنَانِ^(٤) وَالصُّدْرَ كَأَنَّ مِغْرَورِقٍ نَمَتْ عَلَيْهِ سِوَاكِبُهُ

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شبة) وكذلك في بعض
ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .
(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولىة ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح^ه عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي ما أصحه وهنيئلاً فتنفس ذوارمة تنفسه
 كدحرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
 إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحراربه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق^(٣) تعلق جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لساننا فقمنا بنا فقمنا وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
 قليلاً ثم جاء في ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مي وهذه قلائد
 للجوزر ولا والله لا أقول دهن بديراً وشدهن بدؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قدرحت مي ولم
 يبق إلا الأثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناح
 أتينا منزلها فوقف ينظر ثم قال :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلي ولا زال منها لاجر عاتك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبدت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .
 (٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فمارأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظلي بعينيه حور ديب لوطي نواري وانتشر
فظفرت لاطفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمير

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاننا
وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالاباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

يدكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
(مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع ^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذرِ جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنه وليس بناثم
أخذ بعض المحدثين قول جرير . وهن أضعف خلق الله أركاننا . فقال :

كأما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي . :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني
أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها
ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لأن متن السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنتُ عنه فكادَ بهم
وبلاءهُ إنْ نظرتُ وإنْ هي أعرضتُ وقعُ السهامُ ونزعهنَّ أليم
ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل الفئور بعينه كعلا فحفظونه وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوفِ كأنما يمطرن أحشاءَ الكريم نبالا
ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعتُ بنا تلك الحاجرُ في المعاجر
أمضى وأنفذ في القلوب من الحناجر في الحناجر^(١)
وقلت : فأرعى تحت حاشية الدناحي شقائق وجنةٍ سقيتُ مداما
إذا اكرتُ لواحظُ مقلتيه حسبتُ قلوبنا مطرتُ سهاما
وإن مالتُ بعطفيه شمولُ سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى
لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده
بيتي جرير * ان العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة
بأسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارزُ أبطالَ الوغى فنيبـدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب
وليست سيوفُ الهند تفي نفوسنا ولكن سهامُ فوقت بالحواجب
فحن ثعلب استحساناً لها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسّمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكراً^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سئمت ريامن النوم تسهر^{هـ}
وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدري بين كواكب شهب^{هـ}
فلأت طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجني على الصب^{هـ}
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنها على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
وغدا قمت^{هـ} عليه عسده^{هـ} وسه ؟ أثر من التقبيل في شفنيه^{هـ}
وسقام عين لم تذق طعم الكرى بدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
وقلت : إذا ما جاءني بالأخذ غنى تشاغل طرفه^{هـ} بالأخذ مني

وقال البحترى :

أجد النار تستعار^{هـ} من النار وينشأ من سقم عينيك سقمي^{هـ}
وقلت : يسقى^{هـ} إلى مفرط^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
وقد أطرف البحترى في قوله :

والذي صير الملاحه في عيـ...نيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أطعت^{هـ} العذول فيه وإن أسـ...رف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{هـ} ماتريانه
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون^{هـ}
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{هـ} شبيه بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كونه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النابعة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برداً أسف لثاته بالأمس
 كالأقوحان غداة غب سمانه جفت أطاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفلجن الشفاه عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحرى :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحرى :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصى المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحرى أيضاً :

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغراب المزرد
 مثل درر منظم بين درر منضد^(٣)

وقد أحسن البحرى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن اخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .
 (٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
وشتمتاً يفضُّ من لؤلؤ النظم — م ويُرزى على شتيت الأفاحي
فأضاءت تحت الدُّجينة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
وأشارت إلى الغناء بالحال ظِ أمراض من التصابي صحاح
فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا ممنه قبل الراح
وتدير^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدورُ في الأقداح
وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريم في أفواههن عميقُ
دهانٍ منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجسٌ يالرجال رشوق
ومبتسم عذب المذاقة موق تجمَع فيه لؤلؤٌ ورقيقُ
وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن

الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقلت أفواهاً عذاباً كأنها بنايعٌ خمر خضبت لؤلؤ البحر
فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما نعترها آفةٌ بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
كذلك أنفاسُ الرياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ
هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريقِ بات بدرُ الدجى يمجُّهُ بين ثناياها
يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاك

ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
سقتُهُ ابنةُ العمريِّ من خمرِ عينها ووجنتها كأساً يميّتُ ويدنفُ

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امزجها بالرُّضابِ لعله
فصدت ملياً ثم جادت بريقة
فراح بضعف سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد في سكرِ شارِبِ
وقال : مَزَجَتْ خَمْرَةَ عَيْنِهَا بِرِيقَتِهَا
فاشتد إسكارها إيايَ إِذْ مَزَجَتْ
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يُزهرُ
وردية بحدها ؟

مهفهف لم يبتسم ضاحكاً
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدرُ لا يفنيك عنها إذا
في فها مسكٌ ومشولةٌ
فالمسكُ للنكهةِ والخمرُ للسرِّ يقسةِ واللؤلؤُ للثغرِ

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير
وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
 وقال : قلت للكأيس وهو يكرع منها
 وقال : يامر إن أنكرتني فلكم
 بأبي حبيب كنت أعهد
 عبق الكلام بمسكة نفحت
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقتها فتعلم أنه
 وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
 وقول بشار من قول قيس :

كأنّ على أنوابها الخمر
 وما ذقتّه إلا بعيني تفرّساً
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
 وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أنّ صوبه
 وما ذقتّه إلا لشيم ابتسامها
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كأنّ على أنيابها مبيت السكرى
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبله
 كشهادة لله خالصة
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
 وقبعه يردى تهلل في تعب؟
 وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 قبل المذاق بأنه عذب
 قبل ألعيان بأنه ربُّ
 والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدرى وان لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثقره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثقره
 فن عذير الصب من صدده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يبنذن من قولٍ يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرِّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبدُ أحرار القلوبِ بدؤها وتملأ عين الناظرِ المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لعمرك ما أجدى هوأك سوى المتى على وما أنفأك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شهبوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :

وحديثها السحرُ الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يُمِلل وان هى أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) فى الأمالى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكأن أطيها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بث أرويه للرجال وتروى

وحديث الرجال روضة أنس بات يرعاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفرة؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاوات أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعمى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريث ولاعجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الاسلم^(١) :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعل عن إتيانهن فتمتذر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة^(٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكتاب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام إلا واللوم معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^{هـ} كأننا عقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^{هـ} مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^{هـ}
أخلو النهار على النهار واني والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار^{هـ}
خداه^{هـ} وَرَدَّ والنواظرُ نرجس^{هـ} والثغر سوسن^{هـ} والرضابُ عُقار^{هـ}
حتى اذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا مُدونَ الازارِ من العناقِ إزار^{هـ}
فعلى النحورِ من النحورِ قلادة^{هـ} وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار^{هـ}

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت إلى الصبي...ح لنا ساق^{هـ} بساق

في قناع من^{هـ} لثام وإزار^{هـ} من^{هـ} عناق

وأشاد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتدٍ صاحبه^{هـ} كارتداءِ السيف في يوم الوغى

بجدودِ شافيات^{هـ} من جوى وشغاه^{هـ} مُرويات^{هـ} من ظما

نتساقِ الريق^{هـ} فيما بيننا زامات القطازع^{هـ} بقطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرشي :

فأنضيت منها إلى جنّة^{هـ} تدلّت^{هـ} على^{هـ} عناقيد^{هـ}ها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^{هـ} من قيام فرعها وتقيب^{هـ} فيه وهو جثل^{هـ} (١) أسحج^{هـ}

وكانها فيه نهار^{هـ} ساطع^{هـ} وكانه^{هـ} إيل^{هـ} عليها مظلم^{هـ}

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف^{هـ} أسحج^{هـ}» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو المحنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١)
أغصان بان أبدعت (٢) في حملها
طالت ليالى الحب بعد فراقها
ولرب ليالات بهن تفرجت
ماكان ذاك العيش إلا سكرة
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة
فهل أنت باك على اثره
سيكثر من بعد ترحاله
بنفسى الذى قلقه وشحه
يربك الخنادس إداره
مليح الدلال قليل النوال
وقلت : رخيم فاطر اللحظ
إذا مانأت عنك أحماله
وهل تشجينك أطلاله
توجع صب وإعواله
وضاق بما فيه خلخاله
ويدى لك الصبح أقباله
جميل وان قل أجماله
رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جباها). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَّ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه (١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكماً أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بصفائره
ويكأتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لا تعصين على قى يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بصفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
نعوم أعجازهن عوماً وتلثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرده (٢) المثل والقرين
بانوا بروحى فصرت (٣) وقفاً لابي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالى الطوال فيه قصار
إذ وجوه الانام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تمير الورد فيها وتمور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها خنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح معمم
يروق سليمي منك جعد مسلسل
وفرعك من صبغ الشباب ممسك
ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغداف
وفي عطفة الصدغ خال له
وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
وقوله : غلالة خده ورد جنى
وقلت : وكان دارة صدغه وعداره
وقال ديك الجن :

وقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
رقت غلالة خديه فلو رميا
كان لآما أدبرت فوق وجنته
وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
فإذا شربت فمن رحيق سلسل
من ريق أهيف كالقضب محضرا
فإذا جلا لك غرة في طرة
فانظر عناق ممسك لمكفر
وإذا تعانق خده وعداره
وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عداره
والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا
باللحظ أو ماها بأن يكفا
واختط كاتبها من تحتها ألفا
رأيت تفاعاً بها عضه
والروض بين مجدد ومدبج
وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
أو كفت أباج كالصباح الأبلج
ألوى بقلبك أبلج في أدعج
يجلوه حسن مفلج ومضرج
فانظر عناق عقائق وبنفسج
ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تثنى مناطقه على هضم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء ممشوق
مسطر الخلد بالعدار ولا يحسن غصن^ه الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورزد وعينا غزاله وغرة اصباح وطرة غيب
وصدغ يناجى الاذن وهو معقرب وطوراً يناغى الخلد غير معقرب
له من ظلام الليل أحسن^ه ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرار^ه عليك أم حلق^ه زانك صدغان أم هما زرذ
وقلت : يفتن^ه القلب بخد^ه لم يدع^ه للورد قدرا
مثلهما تكتب^ه بالمسك على الكافور سطر
وعذار يسحر^ه الصب^ه وما يعرف^ه سحرا
وبصدغ دار^ه في الخلد^ه كما تعقد^ه عشر
كلما أظلم^ه (ليلي) ^(١) كان (لى) وجهك فجر

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزر^ت بيوسف^ه لحي^ه ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من جبه^ه في التحائه فإيحسن^ه الدينار^ه إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم^ه إذ ما زحمت^ه فكأما تكشف^ه عن^ه درج^ه جاب^ه زبرجد^ه ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعدن^ه كأن^ه نبت^ه خدودهم أقلام^ه مسك^ه تستمد^ه خلقا
قرفوا البنفسج^ه بالشقيق^ه ونظموها تحت^ه الزبرجد^ه لؤلؤ^ه وعقفا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد).

وَقَلْتُ : وَعَافَقْتُ خَلْفَ مَنْ صَدَغَهُ خَلْفًا
 كَالْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ وَكَالْجِيمِ فِي الْجِيمِ ؟
 وَقَلْتُ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ :
 كَأَنَّ النَّوْرَ مُضْحِكٌ يَقُقُ
 وَعَطْفَةُ الْعَصْنِ شَارِبٌ خَضِرٌ
 وَقَلْتُ : وَتَرَى النَّوْرَ مِثْلَ مُضْحِكِ خَوْدِ
 وَتَرَى الْعَصْنَ مِثْلَ شَارِبِ أَمْرَدِ
 وَلَعَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيْلِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ :

وَشَادَنَ سَائِقَاتِ الشَّعْرِ قَدْ سَلَكْتُ
 فِي عَارِضِيهِ عَلَى جَهْدِ بَهَا طَرَقَا
 هَذَا الْبَيْتِ مُتَكَلِّفٌ جَدًّا :
 لَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ وَجَنَتْ
 وَتَتْ تَعَوْدُ فِدَارَتِ كُلِّهَا حَلَقَا
 وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ كِشَاجِمِ :
 عِلْمُ الشَّعْرِ الَّذِي عَاجَلَهُ
 أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوْقَهُ

فَقَالَ هَذَا (وَقَفَ) وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (دَارَتْ حَلَقَا) الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هَذَا .
 وَقَلْتُ : لِأَنَّ الَّذِي دَارَ مِنْ صَدْغِيكَ وَأَنْعَطَفَا
 وَصَارَ نَوْنًا إِذَا صَبَرْتَهُ أَلْفَا
 مَا كُنْتُ إِذْ خَنَنْتِي إِلَّا أَخَانِقِيَّةً
 لَمْ تَسْتَعِضْ مِنْهُ إِذْ ضَمِعْتَهُ خَلْفًا
 لَمْ أَسْبِقْ لِمَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
 وَقَلْتُ :

قَدْ التَّوَيْتُ ضِدْغَهُ وَاخْتَطَّ عَارِضُهُ
 كَأَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ فَوْقِهِ نُونٌ
 وَقَلْتُ أَيْضًا وَلَمْ أَسْبِقْ إِلَى مَعْنَاهُ :
 وَمَفْنِجٌ قَالَ الْكَمَالُ لَوَجْهِهِ
 كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيْبَاتِ فَكَانَهُ
 زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَمَذَارِهِ
 حَسَنًا فَسَلَوْا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ
 أَعْنَى الْهِنَةِ النَّابِجَةِ تَحْتَ وَرَقَةِ الْبَنْفَسِجِ : وَقَلْتُ :

بَنْفَسِجٌ عَارِضُهُ يَنْثِي
 إِلَى حَمْرَةٍ مِنْ وَجْنِيهِ
 فَيَجْعَلُ قَلْبِي فِي كَفِهِ
 يَسِيءُ إِلَيْهِ وَيَمْدُو عَلَيْهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالصَّدْغُ فَسُوقُ الْعَذَارِ مِنْ كَسْرِ
 كَصُورِ الْجَائِثِ يَرُدُّ ضَرْبَتَهُ

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة: أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء، فأنشديت ذى الرمة:

ترى خلفها نصفاً قناة قويمة ونصفاً نقا يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعمشى:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة:

عجزاً ممكورة^٣ خصانة^٣ قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث:

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال:

سلمى وتسلمى تفوق المتى؟ والوصف أنواعاً وألواناً
وشاحها يحسد^٤ دخلخالها كجائع يحسد^٤ شبعاناً

نقله إلى وصف السلو، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال:

وظباء^٥ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس:

وربان من ماء الشباب كأنه^٦ يظاً من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خرعبة). (٢) في ديوان الأعمشى (ينخزل).

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها: والقصب: العظام التي بها المخ.

أخذه الآخر فقال :

ظبي كأنَّ بخصره من ضميره ظمأ وجوعا
وقلت : وقد بعصن اووانا كشمات كفور
وقد شدت زنانيرا على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شدة عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البندر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً (٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبيه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريه

وقلت : لا والظباء الآنسات إذ ارانت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً ونحن نحن لظماً أو ملن ملن غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خوونا

وقبل هذا: مترجح الارداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايننا

داب النعيم له فأنمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً وشياً ممتوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثورا بل لا يبصر أعطاف الغتيان تتثنى تنى الأغصان في قراطق
 الحبير ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأتار مطرفة
 بعقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
 عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أسأره فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
 الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
 ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني (١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوماً ت إليه بطرف عيني تجنى
 أهيف كالتضيب لو أن رجماً حرّكت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل في النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لا يمس
 الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى تديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
 من الشاعر :

أبت الروادف والتدى لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا
 وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا
 وقلت : تمشي بأرداف أبين قعودها بين النساء كما أبين قيامها
 وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصناً ان هزه مشيه خشيت أن يسقط رمانه
 إرحم مليكاً صار مستعبداً قد ذلّ في حبك سلطانه

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيم
 ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية
 فطفق الاعرابي ينظر إليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
 واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطاك وغصن يهتر وئدى محرق
 أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك
لما يما يكنى عنه الريلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وَرَدًا على غصن بكرَّ اللحظ يلقطه
ورمانًا على قنن يكادُ المشي يسقطه
آتى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدجْن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِك أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أفانلتى بفتورِ الجفونِ ورَّماتينِ على منبر
كحقيقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتنا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطتُ بكفيتها (١) ثمارَ نحوورها كأيدى الأسارى أثقلتها (٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
للهِ درُّه عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أنا ملي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قيب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أنتيته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورُ فوقهنَّ حقاق عاج وحلى زانهُ حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » . (٢) في الإصل « أثقلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الحقائق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر:
 يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قَتَاتُ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرَصَادِ
 فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس:
 يا قمرًا أبصرتُ في مآتمِ يندبُ شجواً بين أترابِ
 يبكي فيلقى الدرّ من نرجسٍ ويلطمُ الومردَ بعنابِ
 وقال ديك الجن:

ودعتها الفراق فاشتكت كبدى وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعضُّ من غيظها العناب بالبرد
 فكان أوّل عهد العين يوم نأتُ بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر:

قالوا الرّحيل فأسرّعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
 فاخضرت موضع كنفها فكأنما غرّست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى:

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
 وكانّ يمانها إذا نطقت به يلتقى على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً: لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمين
 تخالّ تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
 وقال: متعاشقان مكانمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
 وإذا هدّت عين الرقيب تخالست كفهاها جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأنما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق).

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عنابا
يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج منشوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غصه
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول الممرين تواب :

كأب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجراد مفصل
قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه.

ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبص :

لهوت عن الأحزان إذا سفر الضحى وفي كبدى من حرهن حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
وصلت نجيباً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
ودمع نثرت دُرّه وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

لو كنت يوم الوداع حاضرنا وهن يطفئن لوعة الوجد
لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم). (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَخَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّ عَلَيْهِ طَلٌ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبْتُ لَوْ لَوْأًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ
ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجْتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضَهُ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْمَارٍ
ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَجْدُرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةِ وَجْهِهِ مِنْ الْفَمِ سَحٌّ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادَى وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَى يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضًا
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جِسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسِنَةٍ غَضَى

وفي صفة الدمع :

تُورِدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمَ جِسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُ أَوْ أَكْبَهُ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
وقول البحترى في معناه :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتَ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعَهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) في أمالي القالي (بغالب دمعها نظر قليل) .

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولأظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَنَجَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغِرَامُ سِرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ لِرَاحَةٍ وَعَنَّانٌ سَرَّيٌّ فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءُ رَقَاتٌ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ

ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشُّوقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكَوُ الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادَهَا قَلِقُ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَمْعِنَ رَدَّهَا الْغُرُقُ
فَفِي فُؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَمْبِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلِقُ
لَهَيْبٌ قَلْبِي أَفْضَلُ الدَّمْعِ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ

ولأظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَإِطْمَاءُ خَدِّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنْثَرُ دَمْعًا لَا يَبِيعُ بِأَثْمَانِ

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدِرَا
لَأَحَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لَثْمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْدِرَا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوم آتيت ذى الرمة :

لَعَلَّ أَحْدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبَلَابِلِ

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا
والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى
ففيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنتَ تأملتَهُ
حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاخنف :

إني لأجحدُ جبم وأسرهُ
والدمعُ يشهدُ أنني لك عاشقُ
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني
والدمعُ معترفٌ به لم يجحد
والناسُ قد علموا وان لم يشهد
نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لاجوابٍ لمفحم متحير
إلا الدَّموعُ تصانُ بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها
لك الكبد الحرسى فسرولك الصبر
وقد سبقتها عبرةٌ فدموعها
على خدها ييضُ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدتْ بأحبتى طولُ المطايا
فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكانَ الدمعُ لى ذخرًا معدًّا
فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى وورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ
مؤزرٌ بعيم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماريجُ قاعِ ذى حَزَامَى وَحَنَوَة له أَرَجٌ من طيبِ النَّبْتِ طازِب
بأطيب من مَيِّ إِذَا مَا تَقَلَّبْتُ من اللَّيْلِ وَسَنَى جَانِباً بَعْدَ جَانِبٍ (١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا القَلِيلُ يَمْسُهُ من طَبْعِهَا عِبْقاً يَطِيبُ وَيَكْثُرُ
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدُها فصفا لها إِنَّ القَيْبِحَةَ جلدُها لا يشكر
قوله (شكر الكرامة جلدُها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومي فقال :

ألوف عطر تذكى وهى ذاكِةٌ إِذَا أَسَاءَتْ جَوَارَ العَطْرِ أبدان
نعيم كل نهار من مجامرِها وَيَشْمَسُ اللَّيْلُ منها فهو ضَمِحِيان
كأنها وعشان الندى يشمها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ
بديمة وهو قوله :

وماريجُ قاعِ زَاهِرٍ مَسْتِ الندى	ورروض من الرِّيحانِ سَحْتِ سَحائبه
فجاء سَحِيرًا بين يومٍ وليلة	كما جَرَّ من ذيلِ الغلالةِ ساجبه
بأطيب من أنوابِ شمرِ موهبا	إذا اللَّيْلُ أُدجى دابرِ كَتائبه
إذا رَغِبْتَ عن جانبٍ من فراشها	تَضَوَّعَ مَسكاً أين مالتِ جوانبه
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :	
ذَكَرْتُكَ بالرِّيحانِ لما شَمَمْتَهُ	وبالرِّيحِ لما قابلتِ أوجهَ الشَّرِبِ

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْضِ ذى أَقاحِ وَحَنَوَة	وذى نَفْلِ من قَلَّةِ الحَزَنِ طازِب
بأطيب من ليلي إِذَا مَا تَمَّائِلْتُ	من اللَّيْلِ وَسَنَى جَانِباً بَعْدَ جَانِبِ

تذكرت بالرَّيحان^(١) منك روائحاً^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرتُ أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يد كرفي منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أبة رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نجبهُ
 مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرَّ عليه عشبهُ
 فخاتهُ من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نمان إذ مشتُ به زينبُ في نسوةٍ خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوبَ ربح المسك فيه وإيما به المسكُ إذ جرَّتْ به ذيلها جملُ
 وقوله : وأنت الذي حبيت سعماء إلى بدا إلى وأوطاني بلادٌ سواهما
 حللت بهذي مرَّةً ثم مرةً بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل . ولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه «عطرات» بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يعمتها^(١) وإن مضت لها حججٌ يزيداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحرى : فكان^(٢) العبير بها واشياً وجرس الحلى عليها رقبيا
وقلت : تأملت منها غزلاً ريبيا وبدراً منيراً وغصناً رطيبيا
جئت لك عن خضل واضح بيت سناه عليها رقبيا
وهزت لنا بسراة الكثيب قضيباً تفرع منه كثيبيا
عشية راحت وأترابها يقلد بن للهجر طرفاً مريبيا
كواكب ليل إذا مارأت كواكب شيب تهاوت غروبيا
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول وغزلان رمل قلبن القلوبيا
إذا زدتها نظراً زدتنى جمالاً بدبماً وشكلاً غريبيا
رحلن العشية من ذى الغضا وخلفن فيه جمالاً وطيبيا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيبت من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمرئ القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) فى الأصل (دمتها). (٢) فى الديوان (فصان) (٣) فى هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع فى النفوس .

أناها بمطرٍ أهلها فتضاحتُ وقالت وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت وكان معها حلوم
أيام بقي لي ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب (١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشاء الصغار
بروحي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها اتصار
إذا ما للذئب ضاعفت الحشايا كفاها ان يلاث لها الأزار
ومن مליح ذلك قول عوف بن محلم (٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من العن الكبار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقدم ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب عما يقاسى الهائم الصب
شكوت ما لقاء من حبا فأقبلت تسأل ما الحب
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم تيب ؟ فقالت بل تيب فأشده عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحية لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخراعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقاتل الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها مالم تذلَّ بالزمام وتركب
والدرُّ ليسَ بِنافعٍ أربابه مالم يؤلفَ في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بقهره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفوَ نِ دوامِ دوامِ
كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوامِ
مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع
أن نيرانَ حبه باديات الطواع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنيتُ لأجفني وعلامةُ الهجرانِ لا تخفي
وأراك تمزجني ونشريني ولقد عهدتكَ شاربِي صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهرجركمُ للمللة مني ولالمقالِ واشِ حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محبٌ ولألفا محبٍ كلَّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

رما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كافي ذبالةً نصبتُ تضيء للناسِ وهي تحترق .

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كلبلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحري :

قصائد ماتنكُ فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمةُ الانساب فيها وسائلٌ الى غير من يجبي بها وذرائع
ومما سبقت اليه من المعاني ما قلته :

رفعَ السترُ فأنثى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليس لي أن أنالَ ما أتمنى من جنى وصلةِ اللذيدِ جناه
فلو أنى كنت في بعضِ شعري فاذا ماشدها قبوت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

وما نظفةٌ كانت سلاله بارقٍ تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بمدا حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أتى سألها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظبيُّ له من قلوبِ الناس نابتةٌ من المودة تجنى أطيبَ الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمماً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصارُ فيه كأنَّ عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كلُّ شيء من محاسنها كامنٌ في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقالُ له كلمتُ لو أنَّ ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تمداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
 للناس في الشهر هلال ولي من وجهها كل صباح هلال
 وقال: متائه بجباله صلف لا يستطاع كلامه تيبها
 لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهاء
 وقال: ألاحظ حسن وجهه فتجرحني وأجرحها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي هواك فلم يزل شكوى الحزين
 وكان كأنك إشرافاً وحسناً وقلة رحمة لمستكين
 أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ماجاء في ذلك قول ابن الرومي:

مساء في إعراضه عنى ولكن سرني
 سالفناه عروض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن:

صدّ عنى محمد بن سعيد أحسن العالمين نأى جيد
 صدّ عنى من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبيه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تمجينه عليه قول بعضهم:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأذنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطى عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليباسُ في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صباية نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصباية والهوى
ولو لا الهوى ما كنتُ آملُ باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرتهُ
على أنى أنأى فأذنو تذكراً
ويعجبني حُبي له وصبابتي
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشتى في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربتُ دارهُ كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زَاد الهوى لا تتظارها
ففي كلِّ حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما في الارض أشقى من محبِّ
تراه باكباً في كلِّ حين
فيسكى ان نأوا شوقاً اليهم
وان وجدَ الهوى حلوَ المذاق
مخافةً فرقة أو لاشتياق
ويسكى ان دنوا خوف الف . ا :

رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبي
وتجنح من بعدى وتنهر من قربى

فأجنى اليها الذنبَ من حيثُ لا أدري
فان سخطتُ كان اعتذارى من العذر
وإن كنتُ لم أذكرك إلا على ذكر

وصبوة قلبٍ ما ترى القلبَ شافياً
فصرتُ أرى للخلِّ ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكرُ ناسياً
جفانى وسمايى اذا غبتُ جافياً
ولستُ كمن يدنو فينأى تناسياً
اليه وإمساكى عليه ودادياً
ولو خالنى أنساه لم يكُ نائياً
فيأمن سلوانى ويرجو غرامياً

المشوق على حقيقته الذى يقول :

أسفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلتُ بالوعدِ متُّ على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فتسخن عينه عند التناسي وتبرد^(١) عينه عند التلاقي
 ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :
 اذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيئبعه عتب^(٢)
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
 وصالكم صرمٌ وحكمٌ قلى وعطفكم صدٌّ وسامكم حرب
 ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد وروى لفضل الشاعر :

ما كنت أيام كنت راضيةً عنى بذاك الرضا بمقتبط
 علماً بأن الرضا سيئبعه منك التجنى وكثرة السخط
 فكلُّ ما ساءنى فمن خلق منك وما سرّنى فمن غلط

ومن البديع في طلب نيل المشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
 وإلا فابذل من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت في نحو ذلك :

تسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
 كثير سرورى في قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفي في السماء لعله يوافق طرفي طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
 بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدني أبو أحمد عن ابن الانباري لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (علمي به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر البندري

وإني لأرضى من بينةً بالذي لو استيقن الواشى لقرتُ بلائله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أو آخره لا للستقي وأوائله
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلتُ منها محرماً غير أنى إذا هي بالت بلتُ حيث تبول
 وعفة هذا كعفة المتنبي في قوله :

إني على شعفى بما فى خمرها لأعفُ عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكراها فكأنما تمثُلُ لى ليلى بكلِّ سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أمُّ عمري وداؤه وداؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأنَّ يمسى سقيماً لعلها إذا سمعتُ منه بشكوى تراسله
 ويهترئ للمعروف فى طلب العلى لتحمدَ يوماً عندَ سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضتُ تعودنى فأحبتُ لو أتى غدوتُ مريضاً
 وزدتُ اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبحَ جاهي عندهنَّ عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبي المطاع :

كان كثيرٌ راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وقفات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى
ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجاداً في العناق لهُ
حتى لبستُ نجاداً من نوائبه
فباتَ أنعمنا بالأبِ بصاحبه
من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيبِ
تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برُدِّ الثغورِ
إذا هو صادفَ حرَّ الصدرِ
ومن المختار في صفة المدار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ
ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى
سوادَ عذاره بسوادِ عينى

ومن أعجب ما قيل في التهاك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
ما تصنعُ الشمسُ لهُ فياً
بأىَّ وجهٍ أتلقاهمُ
إذا رأونى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أىُّ الواعدِينَ ترينهُ
أشدَّ كما مطلقاً فانى لا أدرى
أأنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى
أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هى الشمسُ مسكنها في السماء
فعرَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ
ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظيرِ قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :

قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا
وفرَّقَ الناسُ بيننا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق^٢ ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ماأظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^٣ إلى بدر^٤ هوأى فقال لي ألت ترى بدر^٥ السماء الذي يسرى

فقلت^٦ بلى قال^٧ التمس^٨ فإنه نظيري ومثلي في علو^٩ وفي قدر

فإن نلت^{١٠} فاعلم^{١١} بأنك نائلي^{١٢} وإن لم تنله^{١٣} فابغ^{١٤} أمراً سوى أمري

فكان^{١٥} كلا البدرين صعباً^{١٦} مرامه^(٢) فويلي^{١٧} من بدر^{١٨} السماء ومن بدري

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس^{١٩} عندي شحط^{٢٠} النوى^{٢١} بعظيم^{٢٢} فيه غم^{٢٣} وفيه كشف^{٢٤} غوم^{٢٥}

من يكن^{٢٦} يكره^{٢٧} الفراق^{٢٨} فاني^{٢٩} أشتهي^{٣٠} لموضع^{٣١} التسليم^{٣٢}

إن^{٣٣} فيه^{٣٤} اعتناقة^{٣٥} لوداع^{٣٦} وانتظار^{٣٧} اعتناقه^{٣٨} لقدوم^{٣٩}

فلكم^{٤٠} قبلة^{٤١} وغيبة^{٤٢} شهر^{٤٣} (هي^{٤٤}) خير^{٤٥} من امتناع^{٤٦} مقيم^{٤٧}

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان^{٤٨} في الفراق^{٤٩} عناق^{٥٠} جعل^{٥١} الله^{٥٢} كل^{٥٣} يوم^{٥٤} فراقا^{٥٥}

أجود^{٥٦} ما قيل^{٥٧} في خفقان^{٥٨} القلب^{٥٩} قول^{٦٠} قيس^{٦١} بن ذريح^(٣) :

كان^{٦٢} القلب^{٦٣} ليلة^{٦٤} قيل^{٦٥} يفدى^{٦٦} بليلى^{٦٧} العامرية^{٦٨} أو يراح^{٦٩}

قطاة^{٧٠} عزها^(٤) شرك^{٧١} فباتت^{٧٢} تجاذبه^{٧٣} وقد^{٧٤} علق^{٧٥} الجناح^{٧٦}

فلولا^{٧٧} التضمين^{٧٨} الذي^{٧٩} فيه^{٨٠} لكان^{٨١} غاية^{٨٢} . ومن الغريب في ذلك قول^{٨٣} ديك^{٨٤} الجن :

ومملوء^{٨٥} من الحزن^{٨٦} يعالج^{٨٧} سورة^{٨٨} الأرق^{٨٩}

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^{٩٠} » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنتاني من شعراء العصر الاموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأماي ، وفي الأصل « غزاها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلْقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقاً
ياشوق إلفين حال البينُ بينهما فمافصاه على التوديع فاعتنقاً
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داواك كلُّ طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كلَّ شيء سوى ليلى عتبت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المشوق قول أبي دافع العجلي :
أحبك يا جبانُ وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أحبك أحبَّ نفسي خلفتُ عليك بادرةَ الطعان
لاقدامي إذا ما الخيلُ جالتُ وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفز بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأسَ بالعتى وان لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وبينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعانى بلاعنا وقد جن من وجدى بليلى جنونها
ومثل ذلك : فان يك عن ليلى غنى وتجلدُ فرُبَّ غنى نفسٍ قريبٌ من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعلَّ الريحَ تحمليني إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيتهُ فما يطيق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك تائداً إلا بمسبين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظمَ الجسم حبها
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها
وينقصها حتى لظفنَ عن النقص
أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي

وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلَّ الوجدُ جسمهُ والحنين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن
وبرآه الهوى فما يستبين
دقَّ جداً فما تراه العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجٍ بي
فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
في مُقلّةِ النائم لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسماً من بعد جدته
كانه رسمُ منزلٍ خلقي
فما تكادُ العيونُ تبصره
تعرفه العينُ ثم تنكره

ومما لأظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها
نظرتُ إليها والريبُ يظنني
على حوَالٍ يعني عن النظرِ الشرز
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتلَ اللهُ الهوى ما أشدهُ وأصرعهُ للمرءِ وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحترى لمات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدمه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فضى وأبقى في فؤادي حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كذا

وأنشدنا عنه لأبي العميث (١) :

أقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مُمسى عاشرة العشر (٢)
فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقِ طريقها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن ظاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه
من الأملى ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أي محرمون ،
ومسى عاشرة العشر يعني أنه أقيها بعرفات عشية عرفة وهو مُمسى عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلاتِ ووجهها بؤرقتي والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
وأني لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودّة بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضها لأعلم عند الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحبها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حين تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أن النفسَ تكذبُ وعدّها إذا صدقَ الهجران يوماً وتغدر
وما عرّضت لي نظرةً مذعرفتها فأنظر إلا مثلت حين أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن

الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرّبت نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفةً حابسا كن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ أين حلَّ حبيبها

تطلع من نفسى اليك طوالم^١ عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب^(١) به أهل مي زاد شوقي^(٢) هبوبها
 هوى تنرف العينان منه وإنما هوى كل نفس أين^(٣) حل جيبها
 سقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى ياظلم تبينى شمائل بادي البث منصدع القلب
 بريئاً تمنى الذنب لما هجرته^(٤) لكيا يقال الهجر^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتمها وعتابها فقد فجعتنى بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها مولد فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذ كر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف^١ ويشفق
 وقلت : قد عريت ألهما حين اكتست^٢ أردية الرّيح عشياً وضحى
 لم يبقَ فيها غير ما يدكى الجوى ويصرف^٣ النوم ويبعث^٤ البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللباليا
 ولا عرابي : طللان طال عليهما الأبد^١ دثرا فلا علم ولا نضد^٢
 لبسا البلى فكأما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد^٣

(١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقي)
 (٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)
 (٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله أكثر واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجنني بمثلِ المسكِ أطيبَ نفحة وجنني بمثلِ الليلِ أطيبَ مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتِ سوادَ الجلودِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحاةَ والجالا
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذ رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد مليح بعضهم في خلاف ذلك :
 إنَّ الذي يعشق من لا
 وإنَّ من يعشقُ زنجيةً
 كالذي ذلك في الظامة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أني سريت وكنت غير سرور وتقربُ الاحلامُ غير قريب
 ما معنى يقظى فقد تؤننه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوتُ من هو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرد) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من زار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر نخل .

نأتك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالي يخيل لي نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالاً
وهذا من معاني القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل في بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(١) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوابع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلت لها وخوابع
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
وأحسن النميري حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا خيالي *
لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارتك فكرتي في المنام فأتاه في خيفة^(٢) واكتتام

يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأرواح فيها سرّاً من الأجسام

مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعاني في هذا قول دعبيل :

سرى طيف ليلى حين حان هبوب وقضيت شوق حين كاد يؤوب

ولم أر مطروقاً يحمل بطارق ولا طارق يقرى المنى وبثيب

(١) هو خدش بن بشر من بني مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعت منى ماتبعث بعدما استمر فؤادي واستمر عزيمي

(٢) في ديوان أبي تمام « فأتاني في خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنالت نائلا شكره لو كان في النبة الجمود
ثم قالت وأحست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سرنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار
فتمجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتنى جلنارية على جلنار
آخر: فإليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود
أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة وتكليف مالا يستطيع شديد

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وأنما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحمدوني :

لم انله فنتله بالامانى فى منامى سراً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الأبدان
منظره كان نزهة العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقنى وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعدته أكذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شيبقى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض اطبي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
 فبات يعاطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
 وبث أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
 أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صغت إلى خبر أذناى غير صدوق
 وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
 وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
 يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
 ففدا التيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
 وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
 وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصف ضعفته جنائبه
 وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد
 أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
 سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتمجبون من حسنه:
 كأن تحت درعها المنعطف ضخم القدال حسن المخط
 وقد بدا منها الذى تطفى كأنما قط على مقط
 شطاً رميت فوجه بشط كرامة الشيخ اليماني الشمط
 لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياذ، عمى بعد ما أسن، وقال في ذلك شعراً.

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زَيْنَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفِ رابى المجسةِ بالعبيرِ مُقرِّمد
 وإذا نزعَتْ نزعَتْ عن مستحصفِ نزع الحزورِ بالرِّشاءِ المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنُّ تستعيرُ وقدمته من قاب صبِّ و صدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سعيته :

بسع السبعة الاقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا وتحمويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنةُ خبا زٍ وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المفضل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأدهى كأن نبت الشعرِ المطلب
 عليه شونيزٌ على فرقى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم الى الوغى مضمرةٌ قرح
 استحمل الله على مركبٍ بحثٌ بالسيرِ ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مأمركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانه في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لان نهود نديبها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد
فشبّ بنو ليلي وشبّ بنوا بنها
ابن المعتز : من معبني على السهر
وابلائي من شادن
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأنّ القلوب تحاذي القلوب
لما كان يشكو محب حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
نلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر اسلامي من التميمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تعرفوني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره^(٣) ويغيب
ويضمر^(٤) قلبي عذرها ويميناها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازر^(٥) قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على يؤازر^(٦)

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضرتني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسماها
الإنما بعد الحبيب وقرب^(٧)ه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده^(٨) بمررب
يقرب^(٩) لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أفضته^(١٠) بمررب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودُّ
وقد أصفيتهُ ودّى بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملل وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصله واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
ان تسخن يبعدك فى عندا لاجتماع كبد ترحف وعند التناهى مقلة تكف . ومثله :
لا الذى يده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاها وكلفنا لأنى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا

فما قببتُ التي بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بلبلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما

نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهادِ فلا نصيبُ اثاما

فنيبحنُ مُرادهنُ يردنه فيما ادَّعينَ ملاحهً ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل غير النزل .

ونكافي الأذنان وهي حقيقة
 فنثمين من الحديث مثوبة
 ونكافي الأفواه عن كتابها
 فبيحرن ملامماً ومراشفاً
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة
 مقسومة آناؤها أقساما

وخلال الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذا عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عتيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كان حبيبها لأوّل نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
 ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتوت
 وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدّي وباطلي وأسماء جدّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فنين :
 أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ فاقتصَّ ناظرةً من القلبِ
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ إغنى يدي خان يميني جلدى
 فاقتصَّ لما اغرورقتُ مقلتهُ من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصارك منى الودّ مادمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وماخفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أعماط لهم وقطوع
 لعمرك ماشي مريتُ بذكره كآخر يأتي بغتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بين باب الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالظباء في جيده
 أطاره رامة فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة التبر ضعف منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولست بواصف أبداً حبيباً أعرضه لأهواء الرجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذافنى المـالـح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارة تسليبي عليك فسلمى
 آخر التشبّه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل وبدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُسَوَّرُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَمَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْسِيْنَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنتار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدرو وينقض العهد بجرمان منافها . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الاوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاهَا بِنَائِقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانٍ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضرم من اللهب يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شوقاً إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفسين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة. (٢) في الأصل (جواً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شقَّ إزار
طارت لها شررٌ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار^(٢)
ففتسلنَ منه كلُّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعلى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مربط النجار
لا ينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفيرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوِّ ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إن علا نضارُ لكنَّهُ إن هوى لجين
دعتهمُ فأنثى إليها محبهم قرة رأين؟
إلى كريمِ الفعالِ سمح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديونَ الملا ببذلٍ إذ ليس يقضى لهم دين

وقال ابن المعتز :

وقد نعلى شررُ الكانون كأنه تشارُ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محللٌ مشقةً على حبان
رَدَّتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتت به سيجاً على عصان
فالجوُّ يضحك في ابيضاض شرائر منها ويمبس في اسوداد دخان

وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في السكوانين إذ ذهبت دولةُ الرِّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَجْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصْرَتْ بُدَّ الشِّتَاءِ بِحَرِّ جَر وَأَخْتِ الْجَرِّ صَافِيَةَ الرَّحْبِيقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بِوَجْنَتَيْهِ كَكَافُورٍ يَذُرُّهُ عَلَى خَلُوقِ
وَقَاتَ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ مُفَقَّرًا لِيَلِي فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَّاحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَمَثَلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْإِفَاحِي
وَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ مَعَطْرَاتُهُ تَطِيرُ مِنْ بَيْنِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاتُهُ مَطْرَرَةٌ الْخَوَاشِي كَالصَّبَّاحِ

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وقال أيضا * وصيرت جبايهم مناخلا * وقلت :

كَأَنَّ النَّارَ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَرُّ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
ومن بديع ما قيل في القدور على النار قول بعض العرب :

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمَسْتَعْجَلِ قَصْدَ الشُّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وقال ابن المعتز :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِيْلِي فِي الْحَلِّ يَسْلُمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلِ أَرْقَالُهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وقالوا أحسن ما قيل في الاثافي والرماد قول ابن هرمة ^(٢) :

نَبِكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ وَجِوَالِمِ سَقَعِ الْخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرَبِينَ مِنْ عَمَدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِهَا فَعَمَكُنْ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَابِدِ
فَوْقَيْنِهِ عَثَّ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنْفُ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) ابراهيم بن علي الكداني

القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموي بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام: أناف كالخودِ لطنَ حزنًا ونوىً مثل ما انفصم السوارُ
ومما يجرى مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
• شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت: كم قد جنيتُ اللهُ من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداغ وأطار
وشققتُ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجهِ الدُّجى غرَّةً
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهدت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرُ في أصفر يقدمها أسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأنما الكانونُ ألبَ جمره أحداق أسدٍ يدرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسبها توريدا

وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالخناء
وأسهم تصبغ بالخناء فها كما ريجانة الشتاء
واشربُ عليها حلبَ الصهباء فشربُ صهباءَ على شقراء

بطرف عينِ البؤسِ والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
 فحمٌ كيوم الفراقِ تشمله نارٌ كنارِ الفراقِ في السكبد
 أسود قد صارَ تحت حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمد

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصبغى قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأنا في بجزرة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان و تراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أنانا بتمر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشى عن المثقبي بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بيناني بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة) .

نظيف كأنه قطع الزند واخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش جليس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلأ حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السللة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كأمخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومى :

مانسَ لأنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشك الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كرةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدي الخابزين كأنه تراس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أرداحنَّ يريد
وضمتُ الى الحلواء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبرى في رقاق وروؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيق فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقباليهنَّ وما يبيدين من مضم شديد الضرام
كأناس يؤشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي ولا كفى أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبهيات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامٌّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمَةٌ قد أخرجتُ من جاحمٍ فوارِ
كوجوهِ أهلِ الجنةِ ابتسمتُ لنا مقرونةٌ بوجوهِ أهلِ النارِ
وقال غيره في :

وقادمٍ من جاحمٍ فوارِ محلل الشقشقِ والأنوارِ
ملبساً حُلَّةَ جِلنارِ يقسر منه جِلده النضارِ

عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيه وأنخص عينيه وأفص أذنيه وا خديه وأرمي بالدماع الى من هو أحوج مني اليه فقيل له إنك لا تحق من ربيع قال وما حق ربيع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فما حقه يا هؤلاء^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما الياضس فالقديد . وقلت في صفة لحم:

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضٌ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتمر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فيبيضُ إلى حمرٍ وحمرٌ إلى صفر
الى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديقاج بالديقاج فاذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديقاج بالكرباس، وفي الحديث «من

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربيع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراجح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جل مشوى قول السرى :

أنفه معصر البردين أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
نجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
برفة مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكميين
كسارق حد من اليدين ذو طرف يستوقف العيين
يريك مرأة من اللجين مذهبة المقبض والوجين
شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيبتين
كما قرنت بين كأتين أو كرتى مسك لطيفتين^(١)
ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية^م ثمناً ولوناً زفها لك حزور^م
طفت تجول بندرها حوذاية^م فأقى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^م
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفرغر^م
وتقدمتها قبل ذلك ثرائد^م مثل الرياض بمنلهن^م يصد^م
ومدقات كلهن^م مزخرف^م بالبيض منها ملبس ومدن^م
وأنت قطائف بمداك لطائف^م ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع الميون من الدهان تعصر^م
وقلت فى سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود^م على مجمر

(١) سقط هذا المعجز من الاصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ وبصدرٍ نهد
مرهفة ذات شباً وحدّ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى
وقد أنانى الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القادورا
بأرغف تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شمّولٌ
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبلَ المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارسياً أحسن من زيد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زيد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

وهاً على مجحومة
بالدسم مؤسومة
وصحفة مكتومة
واللحم مضمومة
قد كمت عراقا
وألحفت رقاقا
منقوشة الحواشي
بطيب التماشي

بفلفل وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا نردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي أبى والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في نردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبى أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والنردة والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرشفَ ولا المزردا
حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابق المنصوب ألقى ثيابه
وقدت جيوب الخبز شبرين في شبر
رغيف بملح طيب النشر خلطة
خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليه من الشونيز آثارُ كاتب
وجلباب وراق ينقط بالحبر
ومن سسم قد زعفرؤوه كأنه
قراضة تبر في لجينية غر
وقال في الباقلاء :

فلا تنس فضل الباقلاء فانه
من المرق قدوافى به الفضل في الزبر
إذا جعلوا فيه سذلباً ونعماً
وجزاء من الزيت المقدس في الذكر
فما صدف العاج المغشى ظواهرأ
بطاشى أفرند معقدة الخضر
بأحسن من مخضرة العفن إذ بدت
بواكراً منها في الحاسد والازرد
ثم قال : ويالك بأذنجانة سايرية
جلاها نسيم الليل نائرة الفجر
فجاءت بأنواب الحداد مدلهما
بأذناها العم المعقفة الخضر
وأكرم بهانياً إذا بز ثوبها
فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فنجملها شطرين نلقم شطرها
وتبعه قبل الاساعة بالشطر
وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس
أمل الليل صانمها بضربِ
وبينَ يدبك من مرى عتيق
أرانا حولَ صحفتها^(١) بروكا
فيا لله من لقم هنا كم

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
كأنَّ الموقدين لها جمالٌ
بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ
وقلت في هريسة :

هريسةٌ بيضاءُ كآفوريه
للرء فيها حمة مسكيه
تأورُ في مبيضة فضيه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

أنصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دعاني
غرني منه منظرٌ ولباسٌ
مجلسٌ كالجنان حسناً ولكن
فلعمرى كان الخوانٌ ولكن
وجفانٍ مثل الجواني ولكن
وغضار الألوان جاءت ولكن
فاذا ما أدرتُ فيها بناني

لشقاى فليتسه مادطاني
وأناثٌ ومجلسٌ وأوان
قبح الجوع حسن تلك الجنان
لم يكن ما يكون فوق الخوان
ليس فيهن ما يرى بالعيان
ليس فيها روائح الألوان
لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأى وشانى
 لو ترأى والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلِ يديَّ بالاشنانِ
 زادَ في السفرِ مسرفاً مثلها أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترعِ المِلانِ
 سكرةٌ فوقَ جوعَةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت في قريب منه :

أتدعوني وتطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبح منك في يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ في يومٍ عسيرِ
 ها حَرَّانٍ من جوعٍ وسكرِ فيالك من سَعيرِ في سَعيرِ
 أقولُ وفي غضارِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا^(١) وقد
 داه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فساها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهي لأمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقللة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محولة فساها
 قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
 حسكية لمتشجج لحمها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة منثملة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) في معجم الأديباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال:

يادعوة مغبرة قائمة	كانها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية	أضحت على أسلافها ^(٢) نادمه
ثم بشر نجيحة لم تزل	أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة	ثم نفضناها ^(٣) على قائمه
وبمدها معتدة ^(٤) أختها	عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة	قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها	فحيرتى فى وصفها دائمه
أقنبت ما مندد في أصبعي	أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في	خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسطانها	قد تركت آنا فنا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها	إذ سلحتها أنفس هائمه
وجام صابونية بمدها	فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرازيسى مستعبراً	من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابنى عليل ولى	قيامه من أجله قائمه
رولوت دايانه حوله	فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة	تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت	من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه	خوفاً من المنية العازمه
ظلالدى الكراث نهبويه	فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت، وفى نسخة

(إسلامها). (٣) فى الاصل (ثم تقضينا). (٤) فى الاصل (مقيدة).

وغاية اللطفِ ففي جرّةٍ
 نبولُ فيها ثم نسقى بها
 وعجلة تشدو بأحانها
 فكانَ فيما أنشدتْ أذشدتْ
 من لى من بعدك يا فاطمه
 ونستم من أسمعتنا صوتها
 وهى لنا من بعدِهِ شامه
 ظلت تبكي شجوناً فما
 أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا
 حياً وفوت منا نعماً ساممه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
 دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التى كنا نفضنها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أياً تأمنها :
 طمعت يا أحسق فى قمرها لو أمكن القمرُ قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب اليه أبو الحسن :

يامن دعانى أطال الله عمرك لى
 ما أنسَ لأنسَ حتى الحشر مائدةً
 اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه
 قد مددنا كلنا يديه لى فذكرنى
 كأنه عاشقٌ قد مدد بسطته
 وقد تمدى بأطوار الرِّفاق لنا
 فليت شعرى ماذا كان أنحله
 مددت كفى فلم ترجع بفائدة
 ولا عدمتك من داعٍ ومحتفل
 ظلنا لديك بها فى أشغل الشغل
 كأنه متمطٌ دائم الكسل
 بيتاً تمثلته من أحسن المثل
 يومَ الفراق الى توديع مرتحل
 مثل الفقير إذا ملاح فى سمل
 فصار إيمانه قولاً بلا عمل
 كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدم لى أعظم حولية
 قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ العَبُّ بالشرنج في قصعته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعاتُ تلفيفَ شطريهٍ باهتدمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرهمَ بالوز ما دَرهمه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمة
فمن أسطيرٍ فيه مشكولة بملح ومن أسطيرٍ معجمه
وطرّز بالبقل أعطافهُ فوافي كحاشيةٍ معلمه
مرشا نخال به مطرفا بديع التغاويف والنمنمه
وأنشد في الشواير (١) :

مامتعة العين من خدِّ تورُّدهُ
مستغرق الحسن في توسيع وجنته
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت
انهى اليك من الشيراز إن وضحت
وقد جرى الزيتُ في مثنى أمرته
وقال ابن خلاد :

وسوفَ يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكومه
يميسُ بشونيزةٍ كالمروسِ تخطرُ في الحلةِ المسهمة
وتغشى موائدَ قد عوليتُ أطايبَ كالبردةِ المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلةِ المظلمه

وأول من ذكر الغالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٌ بِمِكَّةَ مَشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) ينادى
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ بِعَنِ النَّشَا^(٤). وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ بِأَكْلِ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتِظَلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْهَوَاجِرِ.
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رِحَالِهِ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالَوذِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى آتَى فِرْعَوْنَ بِفَالَوذِ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَنَاهُ بِعَمَّاهُ.
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طَفَهُ بِالشَّهْدِ الْخَلْقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلْقِ
 كَانَ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبْرِ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ
 وَقَلْتُ : حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةَ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلْقِ
 يَطُوفُ الدَّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةَ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيئُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبَا
 مَسْتَكْنَفَ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسْمًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دُورًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرُهُ لِرُومِيَّةَ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَا
 وَقَلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنْشُورَةَ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لِدَى رُوح) (٣) اِشْمَعْلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهى من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا بيباه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقضنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استغزاه تعاورُ ضيف في دجى الليل طائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غرباء من ظهر واشم
وأطعمنا لما مرقتنا من الدجى دحاريج لاتساق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
فأبشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصمعي قيل للغاخرى أى التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطر عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الخنجرة كنتحجم نبات الخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز ير فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة خمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مقتبطة نفسها

غير ضمنه في غداة شيمة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابك
وعظم نعمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكي	طرارَ الصبحِ في ثوبِ الظلامِ
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلامِ	كعُرفِ الطرفِ في زمنِ قَتامِ
كذي دَلٍّ عليهِ معصِراتُ	يدلُّ على المشوقِ المستهامِ
فلما ان صبا قلبي إليها	ومدَّت نحوها عينِ اهتمامِ
تقاصرَ دونها كفايَ حتى	كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمامِ
فدونَ السجنِ أطرافُ العوالى	ودونَ النارِ بادرةُ الحسامِ
أتلكَ عصيدةً أم طرفُ سلمى	فليسَ يزورُ إلا في المنامِ

وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجراً حتفه	فجوازَ بنا في الغيظِ شرَّ مجازِ
بمثنا اليه ينسر الباز فأنثى	إلينا بظهيرٍ مثل جوجوُّ بازِ
فأطفأ نيرانَ الطهارةِ كأنها	سحابٌ يسبح الودق فوق عزازِ

العزاز: الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحرِ عن كلِّ ناظٍ	ولكنها في حجبها تتخطفُ
أخذنا عليهمَّ السبيلَ بأعينِ	رواصدٍ إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيض التونِ كأنها	خناجرُ في أيامنا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرْدُ (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العِكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجوة إلى صاعِ سمنِ فوقها يتزيع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انه حى آمناً مما تفيدُ وتجمَع
فان تكُ مصفورا فهذا دواؤه وان تكُ جوطانا فذا يومَ تشع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرجا : فن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تسمى بحيثُ نصبحُ

والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ومالم تسكن فيه من البيت مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والأهم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ ،
(٢) كذا فى إسان العرب ، وفى الأصل « ما تجمَع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفف تمت محاسنه
وكأنه والكأسُ في فيه
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يد كرصفاء
الخمر ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءُ
ثم شجبت فاستضحكت عن جان (١)
في كؤوس كأنهنَّ نجومُ
طالعاتُ مع السقاةِ علينا
لوترى الشرب حولها من بعيدٍ
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والرَّاحُ في أ كفِّ الندامى
أمدامًا فرطمُ لمدام
وكانَّ النجومَ والليلُ داج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشيء * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرًا مع الليلِ طالعًا
وقد شابَ لينا بالشماس وإيما
فنبهتني وساقى القوم يمزجها .
فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضنيننا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يقلبنا
وأراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحرى :

فأضأت تحت الدجنة للشر ب وكادت نضى للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :

ظبي خلى من الأحزان أو دعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقىني ويشرب من عقيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت :

ودار الكأس في يد ذى دلالة رشيق القد يعرف بالرشيق
يجلى بالتبسم در ثغره تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومى وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللاليء العناق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كفف كأن بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أفحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
اللزؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعنى الغلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
وواقفهما بنجدٍ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانِ
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها حبيباً كمثلِ^(١) جلاجلِ الجبلِ
حتى إذا سكنتِ جوامعها كتبتُ بمثلِ اكلعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأسِ سبائها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقّةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقى حسبتُ حبابها عيونَ الدبا من تحتِ أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت ترينى وأمرُ الليلِ مجتمعٌ صباحاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٢)
كانَّ صفريّ وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
وخطاه النحويون في قوله « كبرى و صفري من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
من كيتِ كأنها أرضُ تبرِ في نواحيه لؤلؤٌ مغروسُ
وقلت : راحٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقهُ لاحتْ تطرُّزُ حلةِ الظلماءِ
حتى إذا مُزجتْ أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كذا » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

إذا ما أدار الكأسَ أحورُ عاقدُ
كؤوس لأعناق الليالي قلائد

ساق علامةً دينه في خصره
وكان طيب نسيهها من نشره
عن نغرها فحسبته من نغره
كمثل نقش في فص يا قوت
واطف الدر عليه فطفح
شبك الفضة تصطاد الفرح

تبيت لي اللذات معقودة العرى
يدب الدجى عن وجه نار تحله
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأس أول فخره
فكان حمة لونها من خده
حتى إذا صب المزاج تبسمت
وقال : لاء فيها كتابة عجب
وقلت : دار في الكأس عقيق فخرى
نصب الساق على أقداحها
وقال ابن الرومي في لطافتها :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة
في الجو مثل شعاعها ونسيهها
ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز : فأضحك عن نغز الحباب فم الكأس *

وقلت : وشراب طوى الزمان فحاكى
إن يكن بالعقول غير رحيم
ومن أحسن ما قيل في خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :

كان المدير لها باليمين
تدرع ثوباً من الياسمين
إذا قام للسقى أو باليسار
له فرد كم من الجناسار

وقال السرى في معناه :

وبكر شربناها على الورد بكرة
إذا قام مبيض الجبين يديرها
وقال البحترى : ألابما كأس سقاني سلافها
إذا أخذت أطرافه من قنوها^(١)
فكانت لنا ورداً على خير مورد
توهته يسعى بكم مورد
رهيف الثنى واضح الثغر أشنب
رأيت اللجين بالدامة يذهب

(١) في ديوان البحترى (إذا ذكرت أطرافه من قنورها) .

وقلت: وقد شغلت كلنا يديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 فقلت أرى قدمين أم قدحين
 غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبينَ مُجفونه كأسان
 وتناست فيها بغير قرابة كفٌ المديرِ وجنةُ الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجه ورقها وصفاتها قول بعضهم:

رَقُّ الزُّجاجِ وراقتِ الخمرُ ونشأها فتقاربَ الأمرُ
 فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ وكأنه قدحٌ ولا خمرٌ
 وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفاتها وذكر الكأس ولطائفها:

وكأسٌ تحجبُ الأبصارُ عنها فليسَ لناظرٍ فيها طريقُ
 كأنَّ غمامةً بيضاءَ بيني وبينَ الرَّاحِ تحرقها البروقُ
 وقلت: وندمان سقيت الرَّاحَ صرفاً وجنحُ الليلِ مرتفعُ السجوفِ
 صفتٌ وصفتٌ زجاجتها عليها لمعى دقٌّ في ذهنٍ نصيفِ
 وليس هذا التشبيه بالمتحار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شرايها فكأنهم يجدون ربا من إناء فارغ
 وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملاى فكان الوزنُ بينهما سواء
 وقال ابن الرومي:

لطفت فقد كادت تكون مشاعةً في الجوِّ مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت: حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاجِ أقرع
 فكأنها واللحظ ليس يحورها شمسُ النهارِ تحتمت بالمشترى

ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقد ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كأنَّ أباريقَ المدام لديهم ظباءٌ بأعلى الرِّقمتينِ قيامُ
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللينِ لم يخلقْ لهنَّ عظامُ
وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلبَ الغزالةَ جيدها وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأنَّ إبريقنا والقطرُ في فمه طيرٌ تناول ياقوتاً بمنقار
إلا أن قوله « طير » رديء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .
وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن بيكينا
كأنَّ أعلاها إذا أسفرتْ تعقد في الكأس تلاتينا
وأول من شبه الأبريق بالأوز لبيد ^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :
مُضَمَّنٌ يَبْضاً كالأوزِ ظروفُها إذا نأقوا أعناقها والحواسلا
فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظلل الرُّشح قصرَ طولهُ دمُ الرُّقِّ عنا واصطكاكُ المِزاهرِ
كأنَّ أباريقَ المِدامِ عشيةً . إوزٌ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجرِ
وقال أبو الهندي ^(٢) :

سيفنى أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضرُّ الزبدِ
مقدمة قرأ كأنَّ رقابها رقبُ بناتِ الماءِ تفزع للرعْدِ
وقوله (تفزع للرعْد) زيادة على ما تقدم .

وأما فضول السكّوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدرىها بالقسى الفوارسُ

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم

الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم
وقال السري الموصلی :

كان الكؤوس وقد كالت
جيوب من الوشي مزرورة

فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاوى في مزعفة صفر
فدارت بأقداح كأن فضولها
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
تبدت وفضل الكأس يلمع ساطعا
وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها
فخمرها من فوق أذقانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية
فنجسب الماء زجاجاً جرى

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها
ومجلسنا في الجو يهوى ويرتقى
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالعظام كأنه
عبت أكهفهم بها فكأتما

وقول أبي نواس :

وللاء مادارت عليه القلائس

بفضلاتهن أكاليل نور
يلوح عليها بياض النحور

وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري
سوائف تبدو من معصرة حمر

على وجه صفراء الغلائل غضة
كأثرجة زينت باكاليل فضة
كأنها في عز سلطانها
وماؤها من فوق تيجانها

●

فيض النعاس وأخذ بالفضل
يتنازعون بها سخاب قرفل

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إخفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرُّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودانِ لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدبُّ ديبياً في العظام كأنه ديبٌ نمالٌ في نقاً يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرقٌ على ترائبها كأنَّ مجراهُ قتلٌ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دهنها وقد حدثت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءت من بيتِ خمارٍ بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسانِ بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدنِّ بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد بزل الدنُّ فقومي انظري زنجيةً تقتلُ خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجررى في الهواء أذبالا
 تمنعني ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأنني (١) عليك أميرَ المؤمنينَ أميرُ
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكا وأسداً ما ينههنا اللقاءُ
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فاني ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فاني ربُّ الشوبيةِ والبعر

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشةِ النفسِ لطفتْ عن الإدراكِ والحسِّ
 لنسيمها في قلبِ شاربها روحُ الرّجاءِ وراحةُ النفسِ
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدقِ قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم الفتى لو كان يعرفُ ربّه ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قنن : (١)

جَدِّدِ اللذاتِ فاليوم جديد
 انى ان أمكن يوم صالح
 وامض فيما تشتهي كيف تريد
 ان يوم الشرب لا كان عتيد
 وقال ديك الجن (٢) :

تمتع من الدنيا فانك فانى
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد
 وانك في أيدي الحوادث طانى
 فانى رايت الدهر يسرع بالفتى
 ومن لغد من حادث بأمان
 وينقله حالين يختلفان
 فأما الذى يمضي فأحلام نائم
 وأما الذى يبقى له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان (٣)

يأسفُ المرء على ما فاتهُ
 وتراهُ فرحاً مستبشراً
 من لباتاتٍ إذا لم يقضها
 باتى أمضى كأن لم يعضها
 عجباً من فرح النفس بها
 بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندى ذاق أحلام الكرى
 اقرب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها
 سراعٌ وأيام الهموم بطاءُ
 وحل عتاب الحادثات لوجهها
 فان عتاب الحادثات عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها
 ليالى ما يأتى وهن وراءُ
 ونهر عجير السلولى (٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

عللانى إنما الدنيا عللٌ
 وانشلا ما اغبر من قدرى كما
 واتركانى من عتاب وعذل
 واسقياى أبعده الله الجلل

(١) في الاصل (فقس) وهو تصحيف . (٢) نسبتها في الأمالى لسعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثانى . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

قاقر الرَّاحَ ودع نعتَ الظِّلِّ وَاعصِ من لأمك فيها وعذْلُ
غادها واسعَ لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُ
إنما دنيالك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذلك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما السُّدُّ نيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل السُّمُكروة من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدرى متى وقتُ الرَّحيلِ
وارفض مَقالةً لا ثمَّ إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

استغفرُ اللهُ لذنبي كله قتلتُ إنساناً بغـيرِ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحٌ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كفِّ ظبيِّ كما تما تناولها من خدِّه فأدارها
فظلتُ بأيدينا تتعمعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرَّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوترٍ توقَّدتْ على ضغفها^(٣) ثم استقادتْ من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يمدُّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنأ مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضغفها) .

كَأَنَّهُ وَالكَأْسُ فِي كَفِّهِ بَدْرٌ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وقلت: وطاعنى الفلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكبان

ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقدمر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرْنٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ نَبْرٌ وَالرُّجُجُ جُرُجِدُ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَفْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِحْرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامِ
 فشبهه اصطفاً الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكَرْتُ فَانَى مَسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَأَفْرٌ لَمْ يَسْكَمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَن نَدَى وَكَأَعْلَتِ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمَى
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بَدُورًا يَسْتَحْثُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتَ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يَحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيدته تكراً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامى قول بعضهم :

لَقَدْ عَلِمَ الرَّيْحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانَ غَيْرَ جَهُولِ
 فَانِ سَاءَ قِيَّ مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتَهُ وَلَسْتُ إِلَى مَسَاءِهِمْ بِمَجُولِ
 قوله * لقد علم الريحان والراح اني * في غاية الظرف . وشبهه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم
قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطه عند ذلك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيبن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذلك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأسِ قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبت
ولكن أحييه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما شتهى
وليس إذا مانام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطام
لم يكن بيننا رضاعٌ ولكن صيرت بيننا المدامُ رضاعاً
وهو من قول الناشئ : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذِكْرُ الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراهُ لغير الراحِ إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لرضاتي (١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله وقلت :

ما أصفُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقدِ النديمِ
 ليس في اللهو والمدامِ حظٌ الكريمِ دونَ النديمِ الكريمِ
 فخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيمِ
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليمِ
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةَ لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 نغذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخدُّ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظرِ الخمور وأقحوان كشمسِ الحور
 ونرجس كأنجمِ الديجور

فشبهت ما يعترى بياض العين والجماليق من الحجرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بجمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بلماءٍ حتى تلبينها فلن تكرم الصهباء حتى تهبينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بملده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستغفك من لعانها وتحسر حتى ماتقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بملده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكى وجنة العشوق صرفاً فأسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوةٍ مثل السهما أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا ف كشياناً وأمواجا
وقضباناً من الفضلة قد أنمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغننينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بجة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بجة حلق ناعم الصوت متعب مكودود
كأنين الحب أضعفه الشوق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادئ موصولة بالمشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدة وركود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناسها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على العودِ عنابا
وقلت: وهيجتُ لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتارِ عنابا
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكرِ عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفور لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغى كأنها لانغى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ في شأوِ صوتها نفسٌ كما فِ كأفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزيد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كالتى تفدرُ في الندره

وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعودِ زمرنا بالكؤس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لاطربا عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسِ ضحك المروورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان نؤيق إلى زجه
 كهرجك خفتان وشى بد يياض الغلالة من فرجه
 ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
 معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
 وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
 وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :
 ألت ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ مُراقُ
 وقدرق جلاباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
 وعندى من الريحانِ نوع تحية وكأسٌ كرقاق الخلوقِ دهاق
 وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق
 لنا أبدأً من ثره ونظامه بدائعٌ حلّى مالهن حقاق
 وأغيدمتهز على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياء رقاق
 أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فهنّ له دونَ النطاق نطاق
 هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصار فيه كأنّ عليه من حدق نطاقا
 وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ووصفاً :

وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وحناق
 وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
 تقسم زوارٌ من الهند سقفاً خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء، وهو من أسهل العيوب التي تعترض القوافي .

أطاحم تلتذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنج راعنٌ طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» . (٢) في الأصل (قلب الكرم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تهببت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفنية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيئتها غدر بنا وإباق
 مفارق إلف حان منه فراق (١)
 حميم إذا فارقهم وغساق
 وبعث فيه العقل والديننا
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن يبيكنا
 يعقد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يدوم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه
 بروقه سافرة
 فما سي ؟ سماءه
 طلبت أقصى أملى
 بسيدين ارتقيا
 واتفقا في كنية
 نشرها عذراء قد
 أكرم ذخر ذخر
 على الثرى منسجبه
 وشمسه منتقبه
 ضاحكة منتحبه
 منه فنلت الطالبه
 منقبة فمنتقبه
 والتقيا في مرتبه
 قامت بحق الشره
 من كرمه في عنيه

(١) في ديوان السري « مفارقة ان حان منه فراق » .

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كحظة مخلوسة وقبله مستلبه
 وعندنا طيب وريحاً ن ونقله وغناء
 ومن المشروب لونا ن شموله وطلاء
 ومن اللحم خليطاً ن طبيخه وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمان صدق أدبائه أرباء
 أرسلوا في الصحن ماء فكان الصحن ماء
 وانثنوا للحسن عدواً فحواشيه رداء
 فارشف لهم عناء أنما لهم بلاء
 واغتم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطويك ويمضى ليس للدنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والرّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوک وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ

ومما يجرى مع هذا قول الآخر :

تريد حسا الكأس السفیه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا

وإن أقلّ الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة
وعلى بماء الورد خيش كأنه
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضيبي مهفف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجه بالصباح مقنع
علقت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
فكأنما الكاسات في حافاته

من الندى إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان محبل
ومخلق من شعره ومسلسل
وسواد فرع بالظلام مكمل
كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
مثل الغمامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو الله من ابتدا . العين في اغنائها

أحلى وأشهي من منى . نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الآذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدت لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها (١) ومضى كراها

سمعت بها غناءً كان أولى بأن يفتاد نفسى من عنائها

ومسمعة تفوت السمع حسناً (٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفقت وشاقت ولو يستطيع حاسدها فداها (٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجائها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (بحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحبِّ الغانياتِ ولا يراها
 وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسدا) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسدا)
 معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تففر ^(٢) بمنطقها فما
 ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلاما
 ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عريياً شاقه صوتٌ أعجبا
 ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيهم إياه بالولد في حجر أمه
 وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم:
 فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
 طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركت له أذنأ من الآذان
 ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسن - أن يربا
 تدغدغُ في مهلِ بطنهُ فنسمعنا مضحكاً معجبيا
 وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مر كب على الطبائع الأربع فقال:
 شدت فجلت أسماءنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحديثه
 مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق حديثه
 فللنار منه الزير والارض وللريح متناه وللماء مثله
 وكل امرئ يرتاح منه لنفمة على حسب الطبع الذي منه يبعثه
 شكاضرب يمناها فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعته
 فما برحت حتى أرتنا مخارقا يجاذبه في أحسن النقر عثته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالي من فحول المخضرمين والمعبرين .

(٢) أى لم تففر .

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
 وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزمير قول هرون بن على المنجم :
 غصن على دعص نقا منهاى سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدلالِ هيف الخصورِ رجح الا كفال
 بأخذنَ من طرانف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبورة كلَّ سال بصرع كلِّ فانك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى فى حلةٍ تجرُّ من فضل أذيالها
 وتمحلُّ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحون بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانهٌ مثل خلخالها
 فظلتُ تطارحُ أوتارَه باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يفتى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر
 عن المدائنى قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أفى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطاً من عمل زلى فأهدى اليه عوداً وكتب
 اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ *
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكت متطبياً يجيلُ يديه فى مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأن الطيب يجس بيد واحدة وكذلك الضارب فليس لذكر اليدين وجه .
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك ألسنه أحرف
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رُبَّ ليلٍ كسالكِ ثوبَ نعيم بين ساقٍ وسامرٍ ونديم
 وكووس جرت وراءَ كووس وأعانتُ على طريق الهوم
 ولنا مزهرٌ كمثل فطيم في يدي مطرب كأُمّ الفطيم
 وسموا صدرهُ بعاج وذبل فزهتُ محاسنُ التوسيم
 مثل أرضٍ تحببتُ بأقاح أو سماء تكلمتُ بنجوم
 ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ ومُحمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
 ووسابن لانجولُ عليه كخلاخيلِ ماردٍ وظلوم
 أحمر الزير أسود المِ أحوى هل رأيتم جداولَ التقويم
 ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملها كأنّ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
 جستهُ طامةٌ بحالته جسَّ الطيبِ لمذنفٍ عرقاً
 فحسبتُ يمينها تحركهُ رعداً وختل يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقص :

عجبتُ من رجليه تبعانه يعاوها طوراً ويعاوانه
 كأنَّ أغميين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو بواس * وداوئي بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعرابي موقفاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشتفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيمواليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طور آبري وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محموم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى
وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائلِ هي العرىُ مقروورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهء ماختُ أنى أرى مثلها عذراءَ في زى طانس
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطتُ أنيابه
 وفيه : سماء لاذ قطرها رحيق رَحِب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيقُ حتى إذا ألهبها التصفيقُ
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجْلِ القصيرِ
 بالكفينِ عني وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيم فن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتنى إلا بمسعط
 بحسبك أن خماراً يجنبى أمره يباهٍ فأكادُ أسقط^(٢)
 ولا بن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضررٍ كان يجنبى عليك في رغفانك
 قد ردّ دناهُ فاتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرستنا حوضةً فيه تحمكى رعدة^(٤) تغتربك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقنى بالكبير إلى كبير إنما يشربُ الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يروِّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالبي في النهاية لابن لئلك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ
رحلتُ عننا من كرومِ بابلِ فبتُّ من عقلي على مراجلِ

وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو ترائي وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب

وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمارٍ مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور

يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بللور

وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها

وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدُه نصفُ سائرِه

أنطقتهُ يدا فتى فأن اللحظِ ساهرِه

فحكي عن ضميره ماجرى في خواطرِه

وقال آخر في المعرفة :

معلنة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريبِ

مكسوةٌ أحشاؤها حلةٌ بيضاء من جلدِ غزالِ ريبِ

كأنما نسمةٌ أوتارِه نصبتُ أشراكاً لصيدِ القلوبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
 التهافت وبراها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
 كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا يبصار
 الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
 أعلام صباحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
 منازلها وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
 وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
 وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول ﴿

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تشبُّ القفال (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بليل والنجوم كأنها قلادة درّ سلّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياضُ بنفسج خضل نداء تفتح بينها نورُ الأفاحي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الحمار والنجم غائر غلالة ليلٍ بالصباح مطرر
كأن بياض النجم في خضرة الدجى تفتح وردٍ بين رندٍ^(١) وعبقز
وقلت : كم سرور زرعتُ بين الندامى وهموم طردتُ بين الكؤوس

وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كعاج يلوح في ابنوس

وقلت : بليل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض

كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحر فشبّه الأبيض بقبعة

مفضضة والأصفر والأحر بالذهبية والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا

التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص

من تكلف « تلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلمِ الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقابا
وقد أحسنَ الناشيءُ القولَ في اشتباكِ النجومِ والتفافها حيث يقول :
وردت عايبها والنجوم كأنها كتائبُ جيشٍ سوَّمتْ لكتائب
وقلت : وأنجمِ كَرِربِ في شهبِ كالشهبِ تجرى في خلالِ خطبِ
والحورِ ترنو من خلالِ الحجبِ

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
إذا ما الثريا في السماء تعرضتْ تعرضَ أنباءِ الوشاحِ المفضل
وقد استحسِنَ الناسُ هذا البيتَ في صفةِ الثريا على قديمِ الدهرِ وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأنَّ التعرضَ إنما هو أن يبيدي لك عرضه أي جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأسِ ابنُ ماءٍ محلِقِ
وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكهِ فتبدداً
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ماهي بمتبددة واسكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وأمرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضتْ دولةُ الصيامِ وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيدِ
تبدو الثريا كما غرِ شرهٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقودِ
والأول أجود لذكروا وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أحر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لساربا الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيبٌ طعمه^(١) إذا مُذِقْتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فخبرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصفت إلى الغرب الثريا بوالد لو سلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعي نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الضنوبري على كل حال انها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَفَنُونَ مِنْ غِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونَ
وَالثَرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائلُ بعضَ وصفها في قوله
كأن الثريا حلة النور منخل * وقال ابن المعتز :

ألا فاسقنيها والظلام مقوِّضٌ وخيلُ الدُّجَى نَحْرَ الْمَغَارِبِ تَرْكُضُ
كأنَّ الثُّرَيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نُورَ أَوْ لَجَامٍ مَفْضُضٍ
وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :
قَمِّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحِ بِسَوَادِ قَد كَادَ بَبْدُو الصَّبْحِ أَوْ هُوَ بَادِ
وأرى الثريا في السماء كأنها قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادِ
وقلت : كأنَّ هَبْوِضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْفِرُ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبِ
وقلت : تَلُوحُ الثُّرَيَّا وَالظَّلَامُ مَقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنِ أَعْرَافِ مَفْلُجِ
تَسِيرُ وَرَاءَهُ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَمَاتُ كَفَّ إِلَى نِصْفِ دَمَلِجِ
وقلت : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ أَلْفَقُ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَّمَ مَتَقَبِ
تَبْدُو الثُّرَيَّا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعِ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةُ الذَّنْبِ
وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَيَّا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّالِحِ جُيُودِي وَيُحْيَا
وقلت : وَبِالثُّرَيَّا أَثَرُ الْحَمُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْمَعُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ
كشرفات فدن مشيد

وقلت : قَمِّ بِنَظَرٍ دُ الْهَمُومِ بِكَأْسِ وَالثُّرَيَّا لِمَفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وقد انجرتِ المجرَّةُ فِيهِ كَسَيْبِ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستمارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهتَ لآلِي دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهتَ لآلِي الثُّرَيَّا
 وَرَدَاءُ الدُّجَى لَبِيسٌ دَرِيسٌ بِيَدِ الصُّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيَّا
 وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
 والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثُّرَيَّا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَجِيءُ بِنَجَسٍ مَلِكُ
 أَجُودٍ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلِ كَبِّ الْغَنُويِ (١) :
 وَقَدْ مَاتَ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فِسَاطِيطُ رُكْبٍ بِالْمَقْلَاطَةِ نَزُولُ
 وَلَوْ شَبَّهَا بِفَسْطَاطٍ وَاحِدٍ كَانَتْ شَبَّهُ . وَمِنْ شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ فِيهَا وَفِي الثُّرَيَّا :
 وَقَدْ هَوَى النُّجُومُ وَالْجُوزَاءُ تَتَّبِعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
 مَعَ أَنَّ الْمَصْرَاعَ الْأَخِيرَ غَيْرَ مُخْتَارٍ الرَّصْفِ ، وَالنُّجُومَ اسْمٌ مَخْصُوصَةٌ بِهِ الثُّرَيَّا .
 وَقَالَ فِيهَا وَفِي الشَّعْرَى الْعَبُورُ :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهٗ رَامِحُ
 وَقَلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شُرُوقَهَا طِفْوًا غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلْبِ
 وَهَذَا وَصَفَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا . وَقَلْتُ فِيهَا حِينَ تَوْسُطُ السَّمَاءِ :

شَرِبَتْهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
 كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
 كَأَنَّهَا الْجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرَعُ عُرُوسِ زَيْنَسُوهُ بَدْرَةٌ وَجَمَانُهُ
 وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنِ سِرَاقِ (٢) حِصَانِهِ
 وَقَالَ آخِرُ : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتْرُقُومُ أَخَذُوا وَتَرَمُّ بِقَطْعِ يَدَيْهِ

(١) . . . غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سرقة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوحُ لي الجوزاءُ سكرى كما ناءتُ بها الجرباءُ كادتُ تنثنى
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقتُ بقطعةِ جوشن
الجرباءِ اسم للسماء ، وفي الفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخودِ أوعينِ الغزالِ
كانَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلةٌ ^(١) مفعجةُ السبزالِ
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضتُ وتوج بالهلل
ركبت صدورهُ وتركت خيلي توالى تحتَ أنجمه التوالى
ويخبطن الصباحَ إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :

أقولُ لما هاجَ شوقُ الدُّكرى واعترضتُ وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتهُ في مدرى ما أطولَ الليلَ بسرِّ مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبير وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .
أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنه شهابٌ ينحيه عن الرُّمح قابسُ
وقال ابن المعتز :

وقد لاحَ للسايرى سهيلٌ كأنه على كلِّ نجمٍ في السماء رقيبُ

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرير العود :

أراقبُ لمحا ^(٢) من سهيلٍ كأنه إذا ما بدا من آخر الليلِ مطرف ^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدةُ المزوود ^(٤) وهو من الأُنجمِ في محيدِ
حلَّ محلَّ الرَّجلِ الطريدِ

(١) في نسخة « زميرة ». (٢) في ديوان جرير العود « أراقب لوحا »

(٣) في ديوانه « بطرف ». (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه^١ يمارضها راع أمام قطع

أجود ما قيل في النسب الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تماوروا^٢ دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم^٣ باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وهو من الغز الملبح . ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كآرنت^٤ زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الهجرة قول بعضهم :

كأن الهجرة جدول ماء نور الاقح في جانبيه

وقال ابن طباطبا :

مجرة كالماء إذ ترققا^٥ شقت بها الظماء برداً أزرقا

لباس ثكلى وشيها المشققا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول المجرة أوردت^٦ لتكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متكلفاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفص الغراب جناحه متبعم الأعلى بهيم الأسفل

تبدو الكواكب من فنون ظلامه لمع الأسننة من فتون القسطل

وترى الكواكب في المجرة شرعاً^٧ مثل الظباء كوارعاً في جدول

وقلت: تبدو الهجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالإيم ينساب

وزهرة بازاء البدر واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأن ابن مزنته^٨ جانحاً قسيط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذهُ ابن المعتز فحسّنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كادَ يفضحه مثل القلامة قد قدّت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار
 كأنّ الذي أبقي لنا منه أفقه قصيصُ سوارٍ أو قرأضةُ دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلالُ فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أنقلته حمولةً من عنبر

وقال : في ليلة أكل الحماق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضلّ السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً

برد الليل حين هبت شمالاً فجمعت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حبة الرمل أصابت على البقاع مقيلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا

وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين

وكانّ الهلال مرآة تبرّ تنجلي كل ليلة أصبمين

هذا البيت يتضمن صفة من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب المجاعة ضامرٌ بخل قد خلت فيه لضمفه سلا

طفلٌ ولكنَّ امرؤه عجبٌ
قد عاد بعد كهولةِ طفلها
قد كانَ حماً، ليلتين فلم
ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
ومن العجائب أن يعودَ فتى
في سبع عشرة ليلة كهلاً
وقال السرى :

قم يا غلامُ فهاها في كأسها
كاللنارةِ في جنى نسرين
أومارأيت هلال شهرك قد بدا
في الأفق مثل شعيرة السكين
جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا
التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهلالُ مشنفٌ
بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ
من فضةٍ من تحت نون مذهب
جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زينٌ للعيون هلاله
بيدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه
فرمقنَ منه حاجباً مقرونا
وكانَ جناحَ الليلِ ينقطُ نونا
وقد استحسنت للعلوى الأصفهاني قوله :

لاحَ الهلالُ فوَّيقَ مغربه
والزُّهرةُ الزَّهراءُ لم تغب
تهوى دوين مغيها فهوتُ
تبكى بدمع غيرِ منسكب
فكأنها أسماءٌ باكية
عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةً والهوى مُتضرمٌ
والبدرُ في أفق السماءِ مُغربٌ
فكأنها فيه رداءٌ أزرق
وكانه فيها طرازٌ مُذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كانَ الهلالُ الشهرِ قطعة دملج
تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
تري الزهرة الزهراء تهوى وراءه
كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضةٌ ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولتُ اللذاذ من كذب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلةٍ قراءٍ تحسب أنها تلتقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذاقت طعم النوى لوتلدى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كئانه مجرفةُ العطر
فريسة للبق منوشة قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شذ
تعززه شرراتُ البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)

فن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخصُ في العين واحدُ
أحمُّ علافيُّ وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريُّ وأروع ماجد^(٢)
فأخذهُ ابن المعتز ونقلهُ إلى ماهو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلبابِ الشبابِ قطعتهُ بفتيانِ صدقٍ يملكون الأمانيا

جلباب الشبابِ أظرف من جلبابِ العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة :

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى المهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي (١) .
 وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحيجاتُ العيونِ وعورها
 كأنَّ لنا منه بيوتًا حصينةً مسوحاً أعاليها وساجُ كسورها (٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعرف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودةً الوجه منسوباً إلى الفحم
 سددت على نظر الرائي منبهجه حتى تعارفَت الاشخاصُ بالكلم
 لا أسأمُ الجهدَ فيها أن أكابدهُ ولا ترى صاحبَ الحاجاتِ ذا سأم
 أحاولُ النجحَ في أمر أزاولهُ والنجح في دلجات الأينقي الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنحَ ليل كأنه (٣) قد اكتحلَّت منه البلادُ بأحمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحلُّ بقار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأحمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بفرةٍ كغفرةٍ يحيى يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدغني لصبوح إنَّ الغبوقَ حبيبي
 فالليلُ لونُ شبابي والصبحُ لونُ مشيبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَمْتَهَا وقد صبغ الليل الحصى بسوادٍ^(١)
أخذه البحترى فقال وقصر :

على باب قنسرين والليلُ لاطخٌ جوانبهُ من ظلمةٍ بمداد
ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد
الاستعارة . وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم * كأن دجها من قرونك تنشر * فقال :

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها شبيهةٌ خدَّيها بغيرِ رقيب
فوقع بعيداً عنه واختل في النظم وأقلق القافية . وقلت في معناه :

تسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدَّها
فتسكر من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ تحييك أعقاب الكؤوس بوردها

ومن البديع في هذا المعنى قول ابن المعتز :

أرقت له والرَّكبُ ميل رؤوسهم يخوضون ضحاح الكرى وبهم قره
علامٌ جليدُ الليل حتى كأنهم بزاةٌ تجلى في مراقبها قمرُ
إلى أن ترمى النجم من حلة الدُّجى وقال دليلُ القوم قد نقب الفجرُ
وقدوا أديمَ الفجر حتى ترفعت لهم ليلةٌ أخرى كما حوم^(٢) النسرُ
وقال ديك الجن :

سير ضيك أنى مسخط فيك كاشحاً ومرتقبٌ هولان موت مرقبُ
وجانب ليل لو تعلق قطعة بقطعة صبح لانشت وهي غيبُ
وقلت : ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقا وأشعل فيه الفجر فهو محرق
وصبحنا صبحاً كأن ضياءه تعلم منا كيف يبهي ويشرق
وقال ابن المعتز :

نخلت الدُّجى والليلُ قد مدَّ خيطه رداءً موشى بالكواكب معلماً
وهو من قول الله تعالى (الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ)

(١) في الأصل تصحيف صححناه من ديوانه . (٢) في ديوان ابن المعتز (حلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مِّمَّ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي:
 وَرَبِّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمَلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتٍ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزْهَابِ وَسَطْرَ رَوَضَاتٍ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الأارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن:

أقولُ وجنحُ الدُّجى ملبدٌ ولليل في كلِّ فوجٍ يدُ
 ونحنُ ضجيجان في مسجدٍ فله ماضن المسجد
 أبايلة الوصل لا تنفدى كما ليلةُ الهجر لا تنفد
 وياغدُ إن كنت لي راحماً فلا تدنُ من ليلى ياغد

وقال السري:

وشرُّ الصبحِ عنا الليلُ فانضحت سطورُه البيضُ في راياته السود
 وقلت: ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراءُ مثل عوارض الزهراء
 عبت بأنفاس الرِّياض كأنما نفص الرقيب غلالة الدلتاء
 وقلت: والليلُ يمشي مشيةً الوئيد في الخضر من لباسه والسود
 والصبحُ في أخراه ثأني الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس:

وليل كوج البحر^(١) أرخى سدوله على أنواع الهوم ليتلى

(١) أي كوج البحر في شدة ظلمته .

قلتُ له لما تمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب القلوب . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماع في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرىء القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعنينِ في الصبحِ راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس
 موقعاً والتكلف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والسر اهة فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينة في معنى قول الطرماع :

أظللُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهمُّ بالليلِ جامع
 وقال المجنون :

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلينى لهمَّ يا أميمةُ ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
 تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي يرعى النجومَ ^(٣) يا آيب
 وصدرٍ أراحَ الليلَ عازبَ همهم نضاعف فيه الحزن من كلِّ جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل

« جبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء

حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة

« يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كأنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما لكنها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوقِ والصبرِ يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلص أشيب
فأزادُ فى جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت : ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب
وما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
قهارى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالتفرُّقِ صبرى فأعرنى لمسا عراني اصطبارا
ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لمحَبِّ ومع الليلِ ناشتاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ الليلِ هِىَ أشدُّ
وَطْئاً وأقومُ قبلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسمٌ وفي الليلِ هِىَ بالتفرُّدِ أطول
وتعنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه اللهُ لحقِّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرجُ منها من دخل
 وهذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظلِّ الرشح قصرَ طولهُ دم الزقِّ عنا واصطكك المزاهر
 وقال البحترى :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد وأواخرهُ من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :

وحت عليه ليلته أرحبيةً إذا ما صفا فيها الغديرُ تكدرًا
 بعيدة^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد

يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :

عهدي بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعتته ، والمعنى أن ليله ممدود

بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تعول
 ليلي كما شاءت قصيرٌ إذا جادت وإن ضنت فليلي طويلٌ

فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تفرور
 ليلى كما شاءت فإن لم تزر طال وإن زارت فليلى قصير
 إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهُمى وهمتي جُرْجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلى بل يا أبدُ أنائمُ عنك عَدُّ
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجدِ أوجنون
 ليلى لا يبثني براحاً كأنه أدم حَرُونُ
 أجيلُ في صفحته عيناً ما تتلقى لها جُفونُ
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيفُ الم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشرِ الطيرِ بتنا ننوشه على شِعبِ الأكوادِ والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم ينام *
 وقال بشار :

لخدك من كفيك في كل ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وساد
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجراً * والاشتجار
 وضع اليد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفادهُ
 وقال : خليلي ما بال الدجى لا تزحزحُ
 وليس لليل العاشقين نفاذ
 ولكن أطال الليل هم مبرحُ
 وقال دبك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
 كأن نجوم الليل سارت نهارها
 فخيمن حتى تستريح ركابها
 ما يعرف الليل إلا عاشق سهرها
 ووافى عشاء وهى أنضاء أسفار
 فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتحييره وتبلده فقال :
 لست أدري أطال ليلى أم لا
 لو تفرغت لاستطالة ليلى
 كيف يدري بذاك من يتقلى
 ولرعى النجوم كنت مخلى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
 وطولت ليلى لو دريت بطوله
 ولكنك يمضى لما بي ولا أدري
 وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
 لم يطل حتى دهانى بالهوى
 لقد أعرف ليلى باقصر
 ناعم الأطراف فإن النظر
 فكان المهجر شخص مائل
 كلما أبصره النوم نفر
 وقت : صيرنى البين عرضة الحين
 لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومي ولبتى بهم
 لما يزالا بهم قصيرين
 كان قليلاً لدى مكثهما
 فكنت أدعوها الجديدين
 فطال بعد الحبيب لبثهما
 فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

بالييلة طالت على عاشقي منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها يبدرى
لم تك غيرَ شفيقٍ وفجر حتى تولّت وهي بكرُ الدهرِ
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوّ الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوه وغيمه وضياءه وظلمه كأنه مستعر قد ابتم
مازالت فيه عاكفاً على صنم مهيف الكشح لذيد الملتزم
تفاحه وقف على اثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليل كآباهيم القطا لست تدري كيف تأتي وتمرّ
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرأً أغرّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورق
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنين إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض الحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقى

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت

اعرابياً قول جرير :

أبدّل الليل لانسرى كوا كبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليـل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب (١)
 نعيم الحب أوردق فيه حتى تناولنا جناه من قريب
 بمجلس لذة لم نقو فيه على الشكوى ولاعد الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا عقلتُ جبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجتنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآتى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجور سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهر

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجناب بيوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب
 وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابها القطاة محجب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن (٣) كمن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشبه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب
 « إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال وبيله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بمدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :

وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثير الطحلب

فقال إنما قال (عن جلد الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد . وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمدد فيه شهر العيش أياما

وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداًهُ كوني بلا فجر
 راح الصباحُ يبيدُها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلةً تشبه اللحظة في اتقاها
 لستُ أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقلمها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجرى مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقد جاوروا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رعيلى ذى أداوى منوطة بلباتها مربوعة^(٤) لم تمرخ^(٥)

إذا مسر بسخ عطت^(٦) مجالس رائه تمطت فخطت بين أرجاء سربخ

فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

(١) في الأصل (من بنى صعصعة) . (٢) في أمالى القالى زيادة (وأيام الناس)

(٣) في الأمالى (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه

قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوعة)

(٥) تمرخ أى تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .

(٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالى .

كأنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أُخْرِيَاتِهَا مُسَاءً يُنْقِي مِنَ طَيِّالِ السَّيِّئِ خُضْرًا
تُحَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ (١) الدُّجَى تَمُدُّ وَشِيماً (٢) فَوْقَ أَرْدَبَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّئاً سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ (٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِمِئِنَاءٍ
وَشِمَالاً وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُهُ فَارِيكَ فَقَدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لِأَسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده ورتبه كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة ، وقد أجمع الناس على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أُخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرًا
كَلَوْنَ الْحِصَانِ الْأَنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت

حمرته بياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ

وقال أو قال غيره :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بِادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلالِ

ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السُّورُ: البقية والفضلة، يقال إذا شربت فأسئر . (٢) الوشيمة : لفيفة من غزل، وتسمى القصبة التي يجعل النساج فيها لحمه الثوب للنسج وشيمة . (٣) البرك إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الإبل البروك، وقيل البرك: ألف بعير .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنهُ
ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه
كالهشبي قَرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه
كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فممتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما
جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ
كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ * وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثُ ينطفُ دجنه
والصبحُ ملتبسٌ كهينِ الأشهلِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ
والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته
كموقدِ باتٍ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمهُ
واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجرهِ في ليلة
كفريسٍ بيضاء دهاء اللب
وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورِّدٌ
مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طوي بنا اليومَ إلا بقيةً
يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسكٌ
وقابلهُ للغربِ بردٌ ممسكٌ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ
وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً
وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءهُ
تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرقاتٍ بالصباح معلمه
 أخطرُ في بردتها المسهمه والرَّوضُ في حلتِه المنمنمه
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى كالايلِ يطردُهُ النهارُ طريدا
 وتراهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتكِ المقوصِ شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسَم في أديمه يدعهُ يطرُّ في حـيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلِ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوي الاصفهاني :

وليل نصرمت النى فيه على الرشد وأعديت فيه الهزل منى على الجد
 وضيعت فيه من عناقِ معانقي فظنَّ وشاقى أنى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرط السيفُ اليمني من النعد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيلِ يخطرُ في نوادى يعرب
 وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرَّةُ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المصفر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاح ضوء الصبح فاستبيننا
وقال التنوخي: والثرثيا كدواء
وبدا الفجرُ كسيفٍ
وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل
ترفع عنه منكب الليل فانجلى
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه
وقال: أسامره والليل أسود أورق
تبسم محمراً خلال سواده
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جر أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :
والصبح يتلو المشتري فكأنه عُريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحــــــــف يزجي خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كأن العازف الخنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأَنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهوم
وقلت: وقد غدوت وصبيغ الليل منتقص وغرّة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فسالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها

فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن المقدي عن أبي جعفر عن ابن الاعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةُ أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليلِ وأنجابَ الحجابِ المستر
وألبس عرض الأرض لونها كأنه على الأفق الشرقي ثوبٌ معصفر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع يلوح فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علت وأبيضَّ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ المليحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حين تَعْلُو وتارةً تراه إذ امالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا واتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيَا كلَّ يوم وتنشر

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم على غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفلُ والشمسُ كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارها

فستر غُرتها بالبخار
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَ غيمٍ وهو يأبى

وقال ابن طباطبا :

وأقديت عين شمس فحكت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ اذهى رفعتُ
وقلت في يوم صحو :

ملا العميونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةٌ الجبين كأنها
وكأنها عندَ انبساط شعاعها
جرتُ إذا بكرت ذبولَ مزعفرٍ
فشربتها عذراءَ من يدِ مثاها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حتى علا الطود ذبل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

طوراَ وطوراَ تزيل الخمارا^(١)
خفى مدنف من خلفِ سترِ
كمنين يريدُ نسكاحَ بكر

من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
كما أشرقت فوق البرية زيب
ولكنَّ وجهَ الارض فيها مذهبُ
على الافقِ الغربيُّ شبراً يذرب

صحوً يطالعنا بوجهٍ مونقِ
وجهُ المليحة في الخمار الأزرق
تبرُّ يذوبُ على فروع المشرق
وتجرُّ إن راخت ذبولَ ممشق
تحكي الصباح مع الصباح المشرق

كأسماء إذ مدت عليها إزارها
كما يصفر فودى رأسه الحرف

مثل الكعابِ الخودِ في نقابها

(١) ستاقى هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كَانَ خَبْوَةً^(١) الشَّمْسِ ثُمَّ غُرِبَتْ بِهَا وَقَدْ جَمَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرَضُ
تَخَاوَسَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكُرَى يَرْتَقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَعْمَضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْرَارِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :
وَكَانَتْهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ بِجُفُونِ عَيْنِ الْارْمَدِ

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إِذَا رَفَّتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيَّ وَرَسًّا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِنَقْضِ نَجْمِهَا وَشَوَّلَ بَاقِي عَمْرَهَا وَتَشَعَّشَعَا
وَلَا حِظَّ النَّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَالْمُحَظَّتِ عَوَادَةَ^(٥) عَيْنِ مُدْنَفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَزَلَّتْ عَيُونَ الرُّؤُوسِ^(٦) تَخْضَلُ بِالْمَنْدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لِتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا خِلَا صَفَاءِ تَوَدَّعَا
وقال الآخر :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالشَّرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَاخِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
وقال السري :

وَمِنْ قِصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) تَضِيءُ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحِجَابِ
يَبِضُّ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبْتَ أَطْرَافِنَّ مِنْ ذَهَبِ

- (١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .
- (٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل (يرفق) .
- (٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .
- (٤) الورس : نبات كالسهم ، ومذعدعا : متفرقا .
- (٥) في الأصل « عوادها » .
- (٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .
- (٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيبٍ يطها واصفرارُها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

	الصفحة
ترجمة المؤلف .	٢
صورة آخر النسخة الشنقيطية .	٦
مقدمة الديوان .	٧
أحسن ما قيل في وصف شعر .	٨
النضر بن شميل والمأمون، والكلام على « سداد » .	١٠
أحلب بيت قالته العرب .	١٠
أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .	١١
أبواب ديوان المعاني .	١٤
الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .	١٥
الفصل الأول : في المديح .	١٥
الفصل الثاني : في الافتخار .	٧٦
الفصل الثالث : في التهاني .	٩١
الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .	١٠٣
الباب الثالث : في المعاتبات والهزاء والاعتذار .	١٥٧
الفصل الأول : في المعاتبات .	١٥٧
الفصل الثاني : في الهزاء .	١٧٠
الفصل الثالث : في الاعتذار .	٢١٦
الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .	٢٢٢
الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .	٢٨٦
الفصل الأول : في ذكر النار .	٢٨٦
الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .	٢٩١
الفصل الثالث : في وصف الشراب .	٣٠٥

- ٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .
- ٣٣٣ الفصل الاول : في ذكر النجوم .
- ٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .
- ٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
- ٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبح الحلقة وغير ذلك
- ٢١٥ ٤ لا تحدعنه بأثواب مصبغة
- ٢٣٧ ١٠ وغدا فم عليه عند رقيه
- ٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخمر شجها
- ٢٤٩ ١ وعانقت حلق من صدغه حلقا
- ٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجلته اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
- ٢٩٣ ٧ يقشر جلدأ منه كالنضار
- ٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٣١٤ ٧ هذا الشعر للمخبل اليشكري لا للاختل
- ٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى
- ٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فعلبه
- ٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
- ٣٢٤ ١١ فأت ننف الهم عنا

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الاول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرتكو

		الصفحة السطر	
أ كفاؤه	١٢ ٧٢	بغضبتها	١٢ ٣٢
الخريمي	٢ ٧٤	ليسقط عنه	٥ ٣٣
المتألي الشاعرون	١٧ ٧٨	عند إتيان	٧ ٣٣
أمون .. لحاءها	١٠ ٧٩	الماطرة	١٣ ٣٣
الجحاف	١٦ ٨١	ومنا الشاء	١٤ ٣٣
أخرانا	٧ ٨٢	قسطل	١٦ ٣٤
الجماني	١٧ ٨٥	وأنت مليح	٧ ٣٥
فقري غني	٢١ ٨٥	ذمارها	١٦ ٣٥
ولا يحال	٣ ٨٦	وفوا	٥ ٣٨
نبوه	٥ ٨٦	دماذ	١٤ ٤٠
جيينه	١٨ ٨٧	١٦ ٤٠	ضيف .. الخفريات
بالأفول	٢٠ ٨٧	١٢ ٤١	أبي عكرمة
على الوقود	٢٠ ٨٧	٩ ٤٤	بخفان
واعتمدت	١ ٨٨	١٩ ٤٤	٢٠٦ ثامل
إلى الكوم	١١ ٨٨	٥ ٤٧	وبصدره
أشوي	٦ ٨٩	٨ ٤٧	الدكوما .. تنحري
أو القنان	١٠ ٨٩	٣ ٥٧	من الشجاعة
العاصمون	١١ ٩٠	١٣ ٥٨	غر الرداء
العارمون	١١ ٩٠	٢١ ٦٠	وأحسن منهما
ومني	١٨ ٩٠	١٩ ٦٠	تقريباً إلى أن
الفصل الثالث	١٤ ٩١	١١ ٦١	مر كوز
شيبا بماء فعادا	٥ ٩٢	٢٠ ٦٣	يافيض
تنشر أعياداً	١٠ ٩٢	٣ ٦٥	ابن حري
راعيه	١٣ ٩٢	٢٢ ٦٥	هفان .. ثوابة
كهذا	٢٠ ٩٢	٤ ٦٦	أبو الغراف
بلبل	١٥ ٩٣	٩ ٦٦	أثلمته حوامله
أني هفان	١٢ ٩٤	١١ ٦٦	فيوم تحوط
يهدى للجليل	١٧ ٩٥	١١ ٦٦	مانغب نوافله
عنان الفسکر	١٦ ٩٦	٥ ٦٨	دوارج
بيديه نارها	١٧ ٩٦	١٩ ٦٨	كدعيت
إلى من وليه	٢٢ ٩٦	١٥ ٧١	أو أزرهم
١ ١١	١ ١١	٥ ١١	١٨ ١١
٨ ١١	٨ ١١	١٥ ١١	١٨ ١١
١ ١٢	١ ١٢	١٨ ١١	١٨ ١١
٣ ١٢	٣ ١٢	١٦ ١٢	١٦ ١٢
١٦ ١٢	١٦ ١٢	١٩ ١٢	١٩ ١٢
١٠ ١٨	١٠ ١٨	١٤ ١٨	١٤ ١٨
١٢ ٢٠	١٢ ٢٠	١٧ ٢٠	١٧ ٢٠
١٨ ٢٠	١٨ ٢٠	٢١ ٢١	٢١ ٢١
٥ ٢١	٥ ٢١	٨ ٢١	٨ ٢١
١٠ ٢١	١٠ ٢١	١١ ٢١	١١ ٢١
١ ٢٢	١ ٢٢	٢ ٢٣	٢ ٢٣
٧ ٢٣	٧ ٢٣	١٥ ٢٥	١٥ ٢٥
٢ ٢٦	٢ ٢٦	٧ ٢٧	٧ ٢٧
١٧ ٢٧	١٧ ٢٧	١٨ ٢٧	١٨ ٢٧
٦٨٦٨: ٧١٠	٦٨٦٨: ٧١٠	٤ ٣٠	٤ ٣٠
١٠ ٣١	١٠ ٣١		

شيمت	٩	٤٩	أن يحل به	٤	١٥٣	اقتفروا	١٥	٩٧
وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشاؤه	١	١٠٠
ويمرع	٧	٥٣	زفر	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
وتدولا. وعتودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواليه	٦	١٠٢
مد العلاء	٧	٥٥	بجنب الستار	١٠	١٥٩	ويليقك ثواب	٢٠	١٠٢
خدى	٢٠	٥٦	بطائشة الصدور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
مذهبه	٧	١٤٥	دوبل .. دوبل	١١	١٧٣	بلبال	٢٢	١٠٦
عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقق	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تقديتها	٩	١١٠
نحوى جمية	٨	١٩٦	به الدعى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
فى التطير	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	بمالم	٢	١١١
وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
ثنتنى عنك	١٥	١٩٩	الدار يطوف	٢	٢٠٦	أخم	٧	١١١
فيه مذزمان	٦	٢٠١	غادر الرفض	١٥	٢١٣	مادلك	٢٠	١١١
ظهاره سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدى	١٣	١١٢
كما تزيد	١٧	٢٠١	زوراذوى السنة	١٩	٢١٣	قدجبت جلبابه	٢١	١١٢
بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
عن الأشناندانى	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعاء	١٨	١١٤
كالذبيخ	١٨	٢٠٢	سب. وطاق	١٧	٢٣٣	يجر	١٠	١١٥
ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	يا اسلى	١٩	٢٣٤	عبيد بن الأبرص	٦	١١٨
وتنتقى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بدرها	٨	٢٣٧	وأبنى غير	٥	١٢٢
كسير الجناح	٢	٢٠٨	التمرى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
خامد المصباح	٣	٢٠٨	يزاب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
وسماد الحية	٦	٢١٠	فأسبلت	٤	٢٥٦	عفى الحساب	٥	١٢٦
به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	أعنة الله	٢٢	١٢٨
أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
غادية	٨	٢١٤	حَبْث	١٤	٧٦	راوية .. ابن	١٣	١٣١
ولا تأتبنى	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تتعب	٣	١٣٢
فى بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
وللقارف ذنباً	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حلحلة	٦	١٣٣
أرى الراغب إلى	٢	٢٢١	آراؤهم	٥	٤٩	بوانى	٧	١٣٣
الهيبة الحية	٤	٢٢١				قول عمارة	٧	١٣٦
						التضافر	١٥	١٥١
						ويهدم صالحى	٣	١٥٣

من المن	١٥	٢٩٦	الهوامى الهوامع	٨	٢٦٣	دمع احدره	١٥	٢٢٥
في السقي	٤	٢٩٦	قوم موسى	٢٠	٢٦٣	عند خود	١٣	٢٢٦
أتعرف من	١١	٢٩٨	كنت في	٨	٢٦٤	ونبتها قالت	٨	٢٢٨
المعتدة	١٦	٢٩٨	الحسن عليه	١٤	٢٦٤	الحسن بسطة	٢٢	٢٢٨
الكيسة الحازمة	٣	٣٠٠	معاً فلم	١٧	٢٦٤	بيضاء كالفضة	٤	٢٢٩
صادفت منا	٧	٣٠٠	أظرفه	٢	٢٦٥	قاسنى بالبدرد	٤	٢٣١
وقد تردى	١٩	٣٠٠	لشدهما	٢٣	٢٦٥	حسنه .. حفلت	١٥	٢٣٢
موشى تخال	١٠	٣٠١	الوصل شافيا	٨	٢٦٦	عين تفل	٦	٢٣٧
ثغر .. الواضح	١٧	٣٠٢	وأرحم	١٠	٢٦٦	يحتشها أحور	١٣	٢٤٠
فدون السمن	١٠	٣٠٤	لم يك	١٤	٢٦٦	مشرب عذب	١	٢٤١
طيف سلمى	١١	٣٠٤	في الشمس	١٨	٢٦٩	بدها	١٤	٢٤٢
منسر الباز	١٤	٣٠٤	فغافصاه	٥	٢٧١	وأنتى	٤	٢٤٤
سبها التجر	١١	٣٠٨	ياجنان	١١	٢٧١	زق أمات	١٤	٢٤٤
أرى نجمين	١	٣١٠	يعش .. المنون	١٠	٢٧٢	فأفضيت	١٦	٢٤٤
ووجنة	٥	٣١٠	اقتياد .. صاحبه	٢٠	٢٧٢	قلقت وشحه	١٩	٢٤٥
ذهن لطيف	١٣	٣١٠	بي يستن	١	٢٧٣	تغضبن .. انتعلت	٨	٢٤٦
وقد حجب	١٨	٣١٢	سفعة	١٠	٢٧٦	طررة .. طرة	٧	٢٤٧
اله ان	٣	٣١٥	يشني الجوى	١٠	٢٧٧	أوبالمى	١٤	٢٤٧
لهو آلى	٦	٣١٥	زف .. خياني	١٣	٢٧٧	قرنوا	٢٢	٢٤٨
ليأتى ما	١٧	٣١٥	معان جياذ	١٨	٢٧٧	أو كالجم	١	٢٤٩
فأزرى	٢	٣١٨	ولا طارقاً	٢٠	٢٧٧	وما سلمى	١٦	٢٥٠
راضعت	١١	٣١٨	ونحن مفترقان	١٥	٢٧٨	وصف الساق	١٨	٢٥٠
على الأجسام	١٣	٣١٩	ليلة القرر	٥	٢٨١	نقطن أذقانا	٣	٢٥١
ذكر مزاج	٢	٣٢٠	حجماً	١١	٢٨١	القوام والترنج	١٣	٢٥١
بميل	٥	٣٢٥	من نزوح	١٢	٢٨٢	الإمشاشة	١٠	٢٥٢
والأرض به	١٨	٣٢٦	فنبهن	٢	٢٨٤	يخرق	٢١	٢٥٢
ابن سريج	١٥	٣٢٧	تنفض	٨	٢٨٥	خلس	٢١	٢٥٤
عمل زلزل	١٨	٣٢٧	وجوآثم سفع	١٩	٢٨٩	أطراف خرمة	٤	٢٥٥
في جس	٢١	٣٢٧	موقوفه بين	٣	٢٩٠	كما سقى	٦	٢٥٦
أحرفه	٤	٣٢٨	تصنع بالدماء	٢١	٢٩٠	السيف الصقيل	٢١	٢٥٦
كأ يتداوى	٤	٣٢٩	في جوذابة	٥	٢٩٣	فاض من	١٢	٢٥٧
دكن الظواهر	١٩	٣٢٩	أرج العطر	١١	٢٩٦	كروم المطايا	١٥	٢٥٨
في تباين	٢٠	٣٢٩				من طيبها	٦	٢٥٩
						بغير كل	١	٣٥٩

٣٣٠	أدافع من الكفين	٢٠	٣٣٩	كما نه غرض	١٦	٣٥٣	القصاص	
٩	٣٣١	هز زور	١٢	٣٤١	والعيد زين	٩	٣٥٦	الأشيط .. سمل
١٤	٣٣١	ساحرة	٣	٣٤٢	اللذاعة	٧	٣٥٧	المقوض ستره
١٦	٣٣٣	كما ترنو	١	٣٤٣	قول مضرس	١٠	٣٥٧	يدعه بطرفي
١	٣٣٤	وأثقابا	١٦	٣٤٨	مذبانوا	١١	٣٥٧	دع الوصي
٩	٣٣٥	دنو الدلو	١٧	٣٥١	نعننا به	٥	٣٥٩	قيل في الشمس
١٩	٣٣٥	ترنو من براقع	١٨	٣٥١	ليس يرده	٩	٣٦٠	هي رنقت
١٧	٣٣٩	من فوق	١١	٣٥٢	بجو سويقة	٩	٣٦٠	تبرأ يدوب

في ذلك ما قيل من غير المتعمد من قولك في بيتك سميت كذا الشمس ما قلت كما
 صلاة طبت لطيها وأصغر ما قصير ما أفانق الألف للبريد كما إذا أرتوا لها رزها
 راملات غشمتها الزمان والمشيح على الصياح الأمانق كما ذكر في الما الزمان
 وقلت في الصياح مائة نصبت زها لها من جنان المصعب
 أخبار المات السادس والمحدث وحرر
 نسوة الصالحين
 الحمد على من التام طراد بالمناصير العانة في انشاء السحاب العقال وأجره العولج والاد
 ويحمر المارو السلسل للفقده العمر والشجر ويرسلب وللمر جنة للأنام ونظر الأنام
 على الموراء وأخر والصلوة على الله الذي أرسله الخوة شاهدا ومبشرا وبها روي أعمال الله
 بانه ومراجعتنا وعلى كذا الخبير وعنده المتخمين وقد رأينا العجوة كما يراى جهور
 في قريتك وتسهل سلسلها وريح منكم بالمصباح الوياها وأدماه اسماها كيف تحملها وريح
 مشاؤها كيف فيها كالأحد وأخذ منها نصيب وعرف من جها ندين وكت جعلت كتابي
 الموسوم بديوان المعاني مشتملا على أبي عشر من قصيدتها مخرجة ورقة فوات بعض الناس يتكلم
 بحمده ويستقل سجدته على كتابها كما كان يقر نفسه ويميز جسد ليرسما من ويسهل سجدته
 وتبع الهيئة البديرة والكر الانفاج به ان شاء الله تعالى وبه التوفيق
 هذا كتاب المبالغه
 في صفة السحاب والمطر والبرق والظنود ذكر المياه والرياح والنات والاشجار والرياحين
 والثمار والنسم وما يجري مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب
 ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول الفصل الاول في صفة السحاب
 والمطر والبرق والرعد والثلج والفرج اخبرنا الواحد من ابي بكر بن دريد في حاشية
 عن الاصمعي قال قال جرير في الرعد اي قول الشاعر في المطر اشعة قال قول امرئ القيس
 ديمة هظلا فيها وطف طوق الأرض محوى وتدر قوله طوق الأرض غائبة في وصف عموم
 السحاب اراد ان على الأرض بمنزلة الطبق على الأرض كما عرفوا احد اخذ فاجاده الملائكة الرومي
 حيث يقول سحاب قيست بالبلاد فالقبت غطا على غوارها ومجودها
 حدها النفاحي مشقات فاقبت تهادي وويدات سيرها ككودها قوله سيرها ككودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة البريطانية)